
احمــد صليحة
اليابان

حول العالم

اليابان

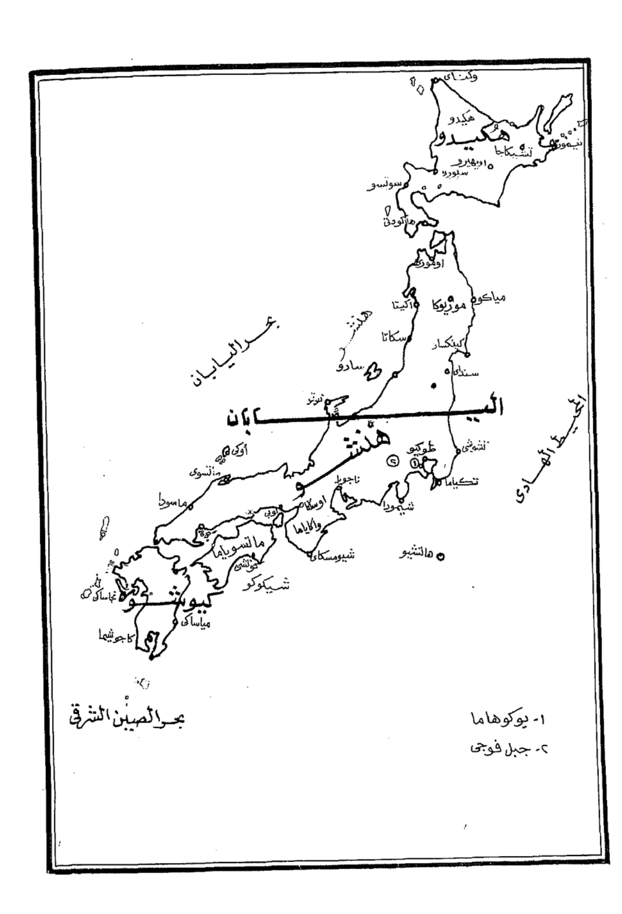
أحمد صليحة

الناشر

رقم الإيداع : ٤٨٣٢ / ٩٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-081-9

منف للنشر والخدمات الإعلامية



هكيدو
سوتسو
موريوكا
مياكو
أكيتا
سكاتا
سندای
سادو
اليابان
هنشو
طوكيو
ناجويا
شيمودا
اوساكا
واكاياما
ماسودا
ماتسوياما
شيكوكو
كيوشو
مياساكي
كاجوشيما
بحر اليابان
المحيط الهادي
بحر الصين الشرقي
١- يوكوهاما
٢- جبل فوجى

قبل أن تخلق الأرض وقبل أن يأتى الإنسان إلى الوجود كان الكون بحرا متلاطم الأمواج تغشاه الظلمات -كما تحدثنا الأساطير القديمة- ومن قلب الماء خرجت نبتة الحياة، ومنها جاءت إلى الوجود ثمانية أزواج من الآلهة، آخرها إيزاناجى وإيزانامى. وكان كل زوج منها يجسد عنصرا من عناصر الحياة التى ستتشكل منها الأرض، فمنها ما كان الطين ومنها ما كان البذور ومنها ما كان السماء..

وبأمر الأرباب السماوية ذهب إيزاناجى وزوجه إيزانامى إلى الجسر السماوى الطافى فوق سطح الماء، وغرس فى الماء رمحه، وأخذ يقلبه حتى أثار طين القاع، فغلظ الماء، وعندئذ انتزع الرمح، وتساقطت منه قطرات تحولت حينما لامست الماء إلى أرض، كانت جزيرة إنجورو.

وفى تلك الجزيرة عاش الزوجان الإلهيان فى سعادة وأنجبا سلالة واسعة من الأرباب، يجسد كل منهم أحد مظاهر الطبيعة، وكان آخرهم رب النار، الذى أحرق جسد أمه حين مولده، فماتت إيزانامى ورحلت إلى أرض الظلمات..

ولايطيق إيزاناجى فراق زوجته الحبيبة، فيقرر النزول إلى عالم الموتى لرؤيتها، وهناك يلتقى بها، ولكنه يعجز عن رؤيتها فى الظلام الدامس الذى يخيم على المكان، وترجوه إيزانامى أن يرحل عنها، وألا يحاول رؤيتها ثانية حتى لايندم. ولكن صوتها الحبيب يثير الشوق فى نفسه، فيتسلل وراءها إلى قصرها السفلى، ويفاجئها هناك، ويوقد شعلة

ليرى فى النور وجهها، ولكنه رأى مشهدا أذهله..

رأى إيزانامى جثة عفنة تغطيها الديدان، فتلمكه الرعب، وأسرع بالفرار، فأثار ذلك حنق زوجته، التى نسيت ماكان بينهما من حب وود، وسيطرت عليها الرغبة فى الانتقام من زوجها الذى جرح كرامتها بتصرفه هذا، فأطلقت خلفه جيوش من الساحرات والجن، ولكنه استطاع الفرار منهم، وخرج من فتحة الكهف الذى يبدأ منه عالم الموتى، ثم زحزح صخرة ضخمة سد بها الفتحة، وبينما هو يلتقط أنفاسه بعد أن نجا من الخطر، جاءه صوت زوجته الغاضبة يتوعده بأن يهلك من بنى البشر ألف شخص كل يوم حتى يفنوا عن آخرهم، فجيب إيزاناجى بأنه سوف يخلق كل يوم ألف وخمسمائة طفل ليعوض النقص ويزيد من عمران الأرض، وبذا انتصرت الحياة على الموت..

* * *

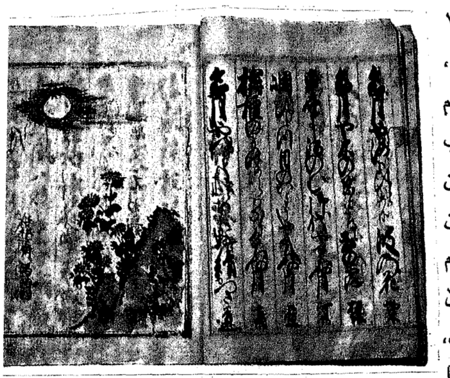
تلك هى أسطورة الخليقة كما وردت فى مدونة يابانية قديمة تعود إلى القرن الثامن الميلادى، وربما لايجد القارىء فيها سوى حكاية طريفة أو مخيفة، ولكن شقيقه اليابانى ربما يرى فيها نظرية تفسر نشأة الحياة بلغة الرمز وتعبر عن حقيقة الكون مثلها فى ذلك مثل نظريات النسبية والكم الحديثة..

ولا يأخذك العجب من ذلك، فاليابانى قد استطاع بمهارة التوفيق بين ثقافته وتقاليده القديمة وحضارة العصر الحديث، أو على الأقل

تكنولوجيته وعلومه، فهو يعيش حياته وفق النظم والقيم التى ورثها من تراث أجداده عبر مئات السنين، ولكنه يتعامل مع تكنولوچيا العصر باقتدار بالغ وكأنما هى وليدة أرضه وحضارته، لانبتة حديثة غرست فى أرضه منذ نحو ١٢٠ عاما.. ولكن لهذا قصة..

اليابان عبر الزمان

تتألف اليابان من مجموعة من الجزر الجبلية تمتد قبالة الساحل الشرقى لآسيا، ويفصلها عن الصين بحر واسع يعرف باسم اليابان.. ويرجح العلماء أن أقدم الشعوب التى سكنت اليابان قد وفدت إلى تلك الجزر منذ ١٠٠ ألف عام تقريبا، وكانوا كغيرهم من الشعوب البدائية يصنعون أسلحتهم من القسى والسهام والحراب من الأخشاب، ويتخذون لها أسنانا من



كتاب مصور قديم .. لاحظ أن العلامات مكتوبة بالريشة فى خطوط رأسية من اليمين إلى اليسار

الحجر، وكانوا يصنعون من حجر الظران (الظلط) مكاشط وفئوسا وسكاكين، ولذا عرفت تلك العصور بالحجرية، لأن الإنسان لم يكن قد تعلم كيف يصنع المعادن بعد.

وكان سكان اليابان الأوائل خليطا من المغوليين الذين وفدوا من آسيا، والميلانيزيين الذين جاءوا من جزر المحيط الهادى، ومن الجنس المغولى اكتسب اليابانيون بشرتهم العاجية وعيونهم المنحرفة التى تميز شعوب شرق آسيا عن غيرهم. وعاش هؤلاء اليابانيون القدماء على الصيد وجمع الطعام فترة طويلة حتى اهتدوا إلى الزراعة فيما يبدو قبل ثلاثة آلاف عام تقريبا.

وعاش اليابانيون آنذاك فى قرى صغيرة تتألف من أكواخ من البوص والخشب مسقوفة بالقش، وكان السكان يعتمدون إلى حد كبير فى طعامهم على القواقع، وتشهد بذلك كميات الأصداف الهائلة التى وجدت فى تلك القرى القديمة، وتعرف هذه الفترة باسم جومون، وقد عرف أهلها صناعة الفخار، وصنعوا أوانى بديعة مزخرفة بحليات تشبه الأصداف، ولكنهم لم يعرفوا إلا فى فترة متأخرة نسبيا.

وتلت هذه الحضارة، حضارة أخرى تعرف باسم يايوى، نسبة إلى قرية صغير بالقرب من طوكيو حيث اكتشفت آثار هذه الحضارة لأول مرة. وترجع حضارة اليايوى إلى القرن الثانى قبل الميلاد، وقد عرف أهلها صناعة البرونز، وبعد أجيال قليلة اكتشف اليابانيون سر صناعة

الحديد، أى بعد ألف عام أو أكثر من اكتشافه فى آسيا الصغرى على أيدى الحيثيين.

وهذا التأخر فى التطور الحضارى، ومعرفة فنون استخلاص المعادن راجع دون ريب إلى العزلة التى عاشها اليابانيون منذ أقدم العصور، فالبحر الذى يفصل اليابان عن آسيا يعج بأسماك القرش وتجتاحه العواصف والأعاصير، مما يجعله أشبه بحاجز بين الأرضين أكثر منه طريق اتصال. ويضاف إلى ذلك وعورة أرض اليابان، وتعدد جزرها، الأمر الذى جعل الانتقال بين القرى اليابانية نفسها أمرا حافلا بالمشاق.

وفى ذلك الوقت عرف اليابانيون زراعة الأرز، الذى يمثل جزءا أساسيا من الوجبة اليابانية، ويقوم مقام القمح لدينا، فهو لا يأكل مطهيا فحسب، بل يطحن ويستخدم دقيقه فى صناعة أنواع من الكعك والفطائر كذلك.

ولكننا لانعرف الكثير عن أحداث ذلك العصر، لأن اليابانيين لم يكونوا قد عرفوا الكتابة بعد، ولكن المقابر التى عثر عليها فى منطقة ريوكيو من ذلك العصر تشير إلى أنهم كانوا يعبدون قوى الطبيعة ويرمزون لأربابهم بالطيور والحيوانات. وقد تعلم اليابانيون فيما بعد فن الكتابة من الصين، وغيرها من فنون الحضارة من الصين، وأصبحت اللغة الصينية لغة العلم والثقافة، ثم بدأ اليابانيون فى كتابة لغتهم باستخدام

العلامات الصوتية الصينية، وهى كتابة معقدة لاتعتمد على الحروف الأبجدية، بل على العلامات المقطعية، ومن ثم فعلى الطالب أن يتعلم مئات العلامات كى يحسن الكتابة والقراءة بهاتين اللغتين.

وتاريخ اليابان القديم تكتنفه الأساطير التى تعود بنسب الإمبراطور أو «الميكادو» إلى الإلهة، فتجعله ابنا للشمس أو السماء، على غرار فراعنة مصر القديمة، واستمر اليابانيون يقدسون الإمبراطور حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، فكان المواطن العادى لايجسر على أن يلفظ اسمه بل يشير له بلقب «تنوهيكا» أى ابن السماء واتخذ الأباطرة اليابانيون من ياماتو (حاليا كيوتو) عاصمة لهم، وكانت سلطة الإمبراطور مطلقة، كما كان يعامل معاملة الأرباب، فكان إذا خرج إلى الطريق، أغلقت النوافذ حتى لايراه أحد من أعلى، أما الواقفون فى الطريق فكانوا يخفضون بصرهم إلى أسفل ولايجرؤ أحد على النظر إلى وجهه، بل لم يكن مسموحا حتى منتصف القرن العشرين للسائحين بالتقاط صورة فوتوغرافية لقصره!

وفى منتصف القرن السادس الميلادى ظهرت الديانة البوذية التى كان لها أثر عظيم فى آسيا، لاسيما فى أقاليمها الجنوبية (الهند) والشرقية (الصين واليابان). ولم تكن البوذية فى بادىء الأمر ديانة بالمعنى الحقيقى، بل كانت دعوة فلسفية أخلاقية ترى أن سبيل الخلاص للإنسان من الشقاء والتعاسة هو فى التزام مكارم الأخلاق

والزهد فى المتاع الدنيوى وأداء بعض الرياضات الروحية. ولكن بعد وفاة مؤسس هذه الدعوة، بوذا، قدسه اتباعه ورفعوه إلى مرتبة الآلهة.

واصطدمت البوذية فى بادىء الأمر بديانة الشنتو القديمة التى كان يعتنقها اليابانيون، وهى ديانة بدائية تجمع بين عبادة قوى الطبيعة والسحر، وتنكر البعث بعد الموت، وتركز على طقوس الخصوبة، والحسنة الأساسية لها هى اهتمامها بنظافة البدن، وهى سمة أساسية ومهة للشعب اليابانى. كما أنها شجعت اليابانيين على الاهتمام بالزهور والنباتات باعتبارها تجسيدا لروح الطبيعة. واليوم يعتبر اليابانيون سادة فن تنسيق الزهور فى العالم، وهى سمة حضارية مهمة أخرى (الولع بالزهور والأشجار) يجدر بنا تعلمها.

وكان أبرز أباطرة هذا العصر شوتوكو تايشى (٥٧٤ - ٦٦٢) الذى كان من كبار الحكام المصلحين، فقد اهتم بالتعليم، وأنشأ الكثير من الأديرة التى كانت تستخدم كمراكز للتعليم، واجتذبته البوذية بروحانيتها، فعمل على نشرها فى اليابان، وعندما توفى اعتبره اليابانيون تجسيدا لروح بوذا.

وكان النظام السائد فى البلاد إقطاعيا، حيث انفردت كل أسرة قوية بحكم منطقة مع اعترافها بالسلطة الشاسعة للإمبراطور. وقد عانى الفلاحون والفقراء فى ظل هذا النظام من الاستغلال، سواء بمصادرة أرضهم أو بتسخيرهم فى العمل دون مقابل. وحاول الإمبراطور شوتوكو

أن يتدارك الأمر بمجموعة من الإصلاحات تعرف باسم دستور شوتوكو، وقد دعم بها سلطة الحكومة المركزية حيث نص على أن «العلاقة بين الإمبراطور والرعية كالعلاقة بين السماء والأرض»، ولكنه فى الوقت نفسه سعى لحماية الفقراء من سطوة الأغنياء، ورتب نظاما خاصا لتوزيع الأرز عليهم، الذى كان قد أصبح الطعام الرئيسى هناك.

وفى القرن الثامن انتقلت العاصمة إلى مدينة نارا، وازداد إقبال اليابانيين على الاغتراف من معين الحضارة الصينية، وحاول أباطرة اليابان تأسيس بلاط فخم على غرار البلاط الصينى، واهتموا بتشجيع الفنون، وبتأسيس الأديرة البوذية بعد أن أصبحت تلك العقيدة الديانة الرسمية للبلاد. وحاول الكهان التوفيق بين العقيدة الشنتوية القديمة والعقيدة البوذية، فازداد انتشارها بين العامة والفلاحين.

وأغدق الأباطرة على الأديرة، فازدادت قوتها واتسعت أملاكها، وتطلب ذلك تأسيس نوع من الفرق العسكرية التابعة لها لحماية أرضها، وهو أمر زاد من قوتها، واضطرت الحكومة أمام تعاظم نفوذ تلك المؤسسات الدينية فى نهاية الأمر إلى نقل العاصمة إلى مدينة كيوتو عام ٧٩٤م.

وتعرف الفترة من ٧٩٤ حتى ١١٩٢ باسم عصر «هيان»، وانتشرت خلالها البوذية وازداد تأثير الحضارة الصينية على اليابان، ولكن سرعان مادبت الفوضى إلى بلاد وتدهور نفوذ الإمبراطور، وانتهى الأمر



مجموعة من الأطفال اليابانيين يرتدون ملابس السموراى
ويحملون السيوف التى ترمز لفكرة الشرف والواجب

باستيلاء أسرة جنجى (مينا موتو) على الحكم، وبرغم أنها أبقت على الإمبراطور وبلاطه فى كيوتو، لكنها جردته من كل سلطة فعلية، وكان منصب القائد العام للجيش (الشوجون) وسيلتها لفرض سيطرتها على البلاد. واتخذت هذه الأسرة من بلدة كماكورا مقرا لها (بالقرب من طوكيو الحالية) ولذا يعرف هذا العهد باسم عصر كماكورا.

وفى ذلك العصر حاول المغول غزو اليابان بعد أن أخضعوا الصين لحكمهم، فوجه ملكهم الشهيد «كبولاى خان» حملة فى عام ١٢٧٤ لغزو كيوشو، لكنها فشلت، فأرسل حملة أخرى عام ١٢٨١، ولكن السفن غرقت فى عاصفة عاتية واعتبر اليابانيون الأمر معجزة إلاهية، فأطلقوا عليها «كاميكازى» (أى رياح الآلهة).

وقد استخدم اليابانيون فيما بعد هذه الكلمة (كاميكازى) لوصف الغارات الانتحارية التى كانوا يشنونها على حاملات الطائرات والسفن الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية. فبعد أن دمر الأسطول الأمريكى معظم السفن اليابانية، وأصبحت حاملات الطائرات الأمريكية تهدد مدن اليابان وخطوط إمدادات الجيش بغاراتها اليومية، تشكلت فرقة من الطيارين المتطوعين، وكانوا يقودون طيارات خاصة مشحونة بالمتفجرات وينقضون بها على السفن الأمريكية كأنما هم صواريخ بشرية. وقد كبدوا بذلك الأمريكيين خسائر فادحة لم يكن بوسعهم تحقيقها بأساليب القصف العادية.

ومن الطريف أن نظام الحكم اليابانى فى العصور الوسطى كان يشبه نظام المماليك فى مصر، حيث استولى قادة الجند من المماليك على السلطة وحملوا لقب السلطان واعترفوا فى نفس الوقت بالولاء للخليفة العباسى ولكنهم جردوه من كل سلطة وأبقوه مجرد صورة تضفى الشرعية على حكمهم لأنه كان ينتسب إلى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم.

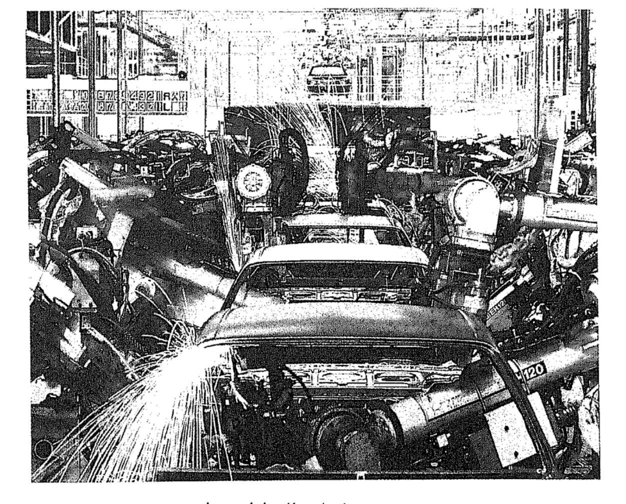
وفى القرن السادس عشر دخل المبشرون البرتغاليون أرض اليابان لأول مرة، وبدأوا فى دعوة أهلها إلى اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكى. وكان من بينهم نفر أخلصوا فى الدعوة واهتموا بتعلم اللغة اليابانية، ومنهم فرانسيس كسافيه، الذى نجح فى اجتذاب مجموعة من النبلاء إلى الدين الجديد، ولم تمض سنوات حتى ازداد عدد المسيحيين إلى ١٥٠ ألف، وبلغ عدد الكنائس مائتين.

وفى ذات الوقت بدأ الإنجليز والهولنديون يؤسسون لهم بعثات تبشيرية فى اليابان للدعوة إلى المذهب البروتستنتى. وكان العداء مستحكما آنذاك بين الكاثوليك والبروتستنت، وفى ذات الوقت كانت الحكومات البرتغالية والإنجليزية والهولندية تطمع من خلال التبشير إلى فتح أسواق اليابان لها، ومن ثم نشبت صراعات خفية بين بعثات التبشير، ثم أخذ كل منها يحرض السلطات على البعثات الأخرى ويصور لها نشاطها على أنه مقدمة لغزو عسكرى.

وفى ذلك الوقت كان منصب «الشوجون» (القائد العام) قد آل إلى يياسو طوكوجاو، الذى استمر أبناؤه يحكمون اليابان من خلال هذا المنصب حتى منتصف القرن التاسع عشر. وقد أسس حكومة عسكرية قوية انتهجت سياسة محافظة ونظرت بعين الريبة إلى الأجانب، ورأت فى المسيحية تهديدا للمعتقدات المتوارثة، ولاسيما أنها تنكر ألوهية الإمبراطور، وتدعو إلى نبذ القوة والإفراط فى التسامح مع الغير، الأمر الذى لاتستسيغه العقلية الحربية لنظام طوكوجاوا العسكرى.

وأدى هذا فى نهاية الأمر إلى اضطهاد المسيحيين وطرد الأجانب من اليابان، ولم يستثن من هذا إلا بعض التجار الهولنديين الذين حددت إقامتهم فى جزيرة قبالة ميناء نجازاكى. وحرم على اليابانيين الاتصال بهم أو التعامل معهم، وفرضت عزلة صارمة على اليابان، ومنع اليابانيين من مغادرة البلاد، وكان من يغادر منهم البلاد يعرض نفسه للموت حين عودته.

واستمرت هذه العزلة قائمة حتى منتصف القرن التاسع عشر، حينما قررت الولايات المتحدة أن تفتح أسواق اليابان بالقوة للتجارة معها تحت ستار الدفاع عن مبدأ حرية التجارة الذى كانت تنادى به دائما، فأرسلت بعثة بحرية برئاسة الكومودور برى. ورأت حكومة «الشوجون» آنذاك أنه لاقبل لها بجيوش الولايات الحديثة وغيرها من الدول الأوروبية التى حذت حذو الأمريكيين وطالبت بفتح أسواق اليابان أمامها، فاستجابت لتلك المطالب.



مصنع حديث لإنتاج السيارات يدار
بالإنسان الآلى دون حاجة ليد بشرية

وكما أيقظت الحملة الفرنسية على مصر الشعور القومى ونبهت المصريين إلى التفوق الحضارى والعلمى الذى تحقق لأوروبا، كان انفتاح اليابان على أوروبا والولايات المتحدة باعثا على المطالبة بإسقاط النظام العسكرى القديم الممثل فى حكم الشوجون.

وكان الضعف قد دب بالفعل فى ذلك النظام العتيق، ورأى اليابانيون أن خير وسيلة للتخلص منه هو العودة إلى النظام الإمبراطورى القديم، فبدأ النبلاء يتوافدون على بلاط كيوتو ليعلنوا ولاءهم للإمبراطور، وأخذ

المثقفون والمستنيرون يعبئون الشعب للثورة على النظام القديم، والانحياز إلى الإمبراطور موتسوهيتو (ميجى)، واضطر الشوجون فى نهاية الأمر إلى الاستسلام والتنازل عن سلطته ومنصبه.

ومع انهيار نظام الشوجون بدأت اليابان عهدًا جديدًا يعرف باسم الميجى آشن أو ثورة الميجى، ووُضِعَ دستور للبلاد وأُسِّسَ برلمان (الديت)، وانتهج النظام الجديد خطا إصلاحيا يقوم على نشر العلم والمعرفة وتشجيع الصناعة وبناء جيش حديث، فتوسعت اليابان فى إنشاء المدارس والجامعات واستطاعت أن تقضى على الأمية فى وقت قصير نسبيا وفرضت رسوما جمركية عالية على البضائع المستوردة لحماية الصناعة المحلية الناشئة، واستطاعت فى سنوات قليلة أن تنهض بصناعاتها إلى حد بعيد، وذلك بفضل ما جبل عليه اليابانيون من ولع بالدقة ورهافة الحس الفنى وجد ومثابرة فى العمل.

وكان الاختبار الأول لقوة اليابان العسكرية مع روسيا القيصرية حيث دخلت معها فى حرب حول السيادة على إقليم منشوريا فى شمال الصين (١٩٠٤ - ١٩٠٥) وانتهت الحرب بانتصارها. وفى ذلك العصر كان الاستعمار أمرا مشروعا وحقا معترفا به للبلدان المتقدمة على غيرها، أو بمعنى أدق لبلدان أوروبا على بلدان آسيا وأفريقيا. وبرزت اليابان فى ذلك الحين كقوة استعمارية منافسة، وكانت بذلك أول قوة شرقية تتحدى قوى الغرب فى ذلك الميدان.



يفضل اليابانى ارتداء الكيمونو فى بيته، ولكنه فى العمل والطريق ينحو إلى ارتداء الملابس العصرية. لاحظ بساطة المنزل الذى يكاد يخلو من الآثار، ولكنه لايخلو أبدا من الأزهار

واتجهت اليابان إلى استعمار كوريا ثم الزحف على الصين. واستطاعت أن تحرز انتصارات باهرة برغم التفوق العددى لجيوش الصين، وبرغم التطور الكبير الذى طرأ على الجيش اليابانى من حيث التسليح والتكتيكات الحربية والتخطيط الاستراتيجى، لكن عقليته لم تكن قد تغيرت كثيرا عن عقلية عصر «الشوجونية». فقد كان الجندى اليابانى يرى أن عليه أن يقاتل حتى الموت وأن عليه ألا يستسلم تحت

أى ظرف من الظروف، وأن الجندى الذى يرضى بأن يؤخذ أسيرا يفقد شرفه، ولذا فلم يظهروا احتراما للتقاليد العسكرية التى تقضى بحسن معاملة الأسرى من جنود الأعداء، فكانوا يسخرونهم كعبيد فى أشق الأعمال دون رعاية صحية أو طعام كاف، مما كان يتسبب فى هلاك الكثيرين منهم. ولكى يعجلوا بانتهاء الحرب، لم يتورع الجنود عن ارتكاب الكثير من الفظائع ضد المدنيين، وخاصة فى شمال الصين، فكانت الطائرات الحربية تغير على المدن والقرى وتمطرها بالقنابل دون تفرقة بين الأهداف المدنية والعسكرية.

والحق أن الكثير من الساسة والمفكرين اليابانيين قد حاولوا كبح جماح هذه النزعة العسكرية التى أخذت تتصاعد حدتها منذ انتصار اليابان على روسيا، حيث أخذت أحلام الإمبراطورية تسيطر على قادة الجيش، ولم يتورع العسكريون عن اغتيال رئيس وزراء اليابان «إينوكاى» فى مكتبه حتى يحكموا قبضتهم على الحكومة. وفى ٢٦ من فبراير ١٩٣٦ دبر العسكريون مذبحة رهيبة راح ضحيتها عدد من الوزراء المدنيين، ومنهم وزير المالية تكاهاشى.

وكان من الطبيعى أن يتجه النظام اليابانى بعد أن تشبع بروح الدكتاتورية العسكرية إلى التحالف مع ألمانيا النازية بزعامة هتلر، وكان هدف الحلف أن يستولى هتلر على أوروبا بينما تستولى اليابان على المستعمرات الأوروبية فى شرق آسيا، ثم يضرب الاثنان عدوهما

الخطير، الاتحاد السوفيتى من الغرب والشرق.

وبدأت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وأحرزت اليابان وحليفتاها ألمانيا وإيطاليا انتصارات سريعة حاسمة فى أوروبا وآسيا وأفريقيا، وبدا كما لو أن عصرا جديدا من الفاشية العسكرية المجنونة يوشك أن يدهم العالم، وقد أغرت هذه الانتصارات السهلة السريعة قادة ألمانيا واليابان على إعلان الحرب على الاتحاد السوفيتى ثم الولايات المتحدة، برغم أن كلتا الدولتين كانتا عازفتين عن الدخول فى ذلك الصراع الذى ألحق الدمار الشامل بأوروبا وشرق آسيا.

وكانت الولايات المتحدة قد عمدت إلى فرض حظر على تصدير البترول إلى اليابان كوسيلة للضغط عليها لإيقاف زحفها فى آسيا، ووضعت قوات عسكرية فى أندونيسيا لمنعها من الاستيلاء على منابع البترول هناك. ورأت قيادة الجيش اليابانى أن تشن غارة خاطفة على الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربر، حتى تدمره وتتيح بذلك للأسطول اليابانى أن يصبح سيداً على المحيط الهادى ويمهد الطريق للاستيلاء على منابع البترول فى أندونيسيا وجنوب شرق آسيا.

وبرغم نجاح اليابانيين فى تدمير عدد كبير من السفن الأمريكية، إلا أن حاملات الطائرات الضخمة، التى كانت الهدف الأساسى للغارة، نجت بأعجوبة، لأنها كانت فى ذلك اليوم فى عرض البحر وسرعان ما استطاعت آلة الصناعة الأمريكية أن تعوض الخسارة. وأنزلت هزيمة

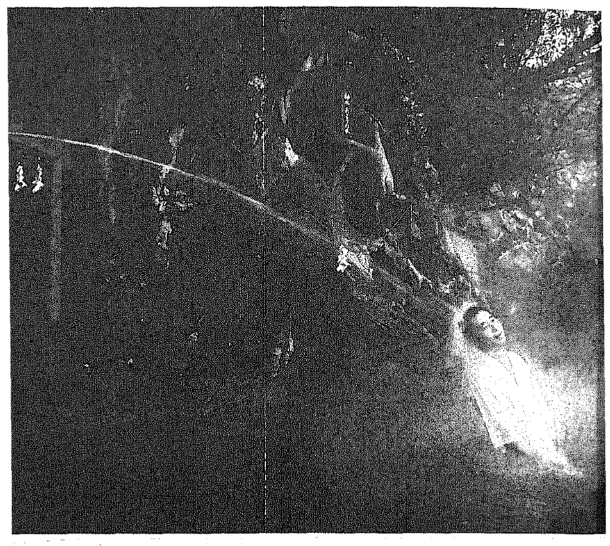
ساحقة بالأسطول الياباني في معركة ميدواي الشهيرة، وأصبحت المدن اليابانية هدفا سهلا للغارات الأمريكية.

وقد استبسل اليابانيون في الدفاع عن أرضهم، وكبدوا القوات الأمريكية خسائر فادحة في المعارك البرية. وبرغم أن ألمانيا النازية استسلمت في مايو ١٩٤٥ وانتحر هتلر، لكن اليابان ظلت تقاوم، ولم تستسلم إلا بعد أن لجأت الولايات المتحدة إلى تدمير مدينتي هيروشيما ونجازاكي بالقنابل الذرية.

ومع استسلام اليابان بدأ عصر جديد، تخلصت فيه البلاد من سيطرة العسكريين ومن أوهام الإمبراطورية، ووضع دستور جديد للبلاد جعل نظامها ملكيا دستوريا، فجرد الإمبراطور من سلطته المطلقة وأسندها إلى رئيس وزراء منتخب بالطريقة الديمقراطية. واستطاع اليابانيون في فترة وجيزة أن يعيدوا بناء بلدهم من جديد، وأن يحققوا المزيد من التقدم في مجالات العلم والصناعة حتى أصبحوا قوة اقتصادية هائلة تنافس الولايات المتحدة نفسها.

اليابان عبر المكان

قبل اكتشاف أمريكا، كان الصينيون يحسبون أن المحيط الهادئ هو نهاية الأرض، ومن ورائه تشرق الشمس، مثلما اعتقد العرب والأوروبيون القدماء أن المحيط الأطلنطي هو بحر الظلمات الرهيب الذي



يعبد اليابانيون الله مجسدا فى الطبيعة، ومن ثم يحجون إلى الجبال والينابيع ويرتدى الحاج ثوبا أبيض وينزل إلى الينبوع المقدس ليتبرك بمائه

ينتهى عنده العالم، وتغيب من ورائه الشمس.

وكان أن أطلق الصينيون على مجموعة الجزر الشرقية الواقعة قبالة ساحلهم اسم «أرض الشمس المشرقة» باعتبارها أول بقعة تصافحها أشعة الشمس فى الصباح، وينطق هذا الاسم بالصينية «جوبن كوو» وهو الاسم الذى حرفه الرحالة الأوروبيون الأوائل إلى زيبانجو، ومنه اشتق اسم اليابان الحديث فى اللغات الأوروبية واللغة العربية.

أما اليابانيون فيطلقون على أرضهم اسم ينهون أو ينبون وهى ترجمة للاسم الصينى، ولاعجب فى ذلك فالعلاقة كما رأينا وثيقة بين الحضارة الصينية واليابانية، بل إن الحضارة اليابانية هى وليد شرعى لحضارة الصين. ويتأكد هذا المعنى للمسافر بالطائرة، فهو يخال الجزر اليابانية التى تمتد فى هيئة قوس قبالة آسيا عقدا من الزمرد الأخضر يزين عنق الصين.

واليابان ليست بالبلد الضخم إذا قورنت بالولايات المتحدة أو غيرها من الدول الصناعية الكبرى التى تصارعها فى الهيمنة على السوق العالمى، فمساحتها تقدر بحوالى ٣٨١ ألف كيلومتر مربع أى أنها تعادل ثلث مساحة مصر تقريبا، وعلاوة على ذلك فأرضها صخرية جبلية وعرة، فلا تزيد نسبة الأرض المستوية فيها أو شبه المستوية عن ١٥٪ من مساحتها الكلية، ولكن الطبيعة حبتها بالأمطار الغزيرة التى جعلت من سهولها وأوديتها وجبالها جنات خضراء وارفة الظلال.

وللطبيعة فى اليابان سحرها الخاص، سحر يباغت الإنسان حيثما التفت وأينما سار، فأرضها الجبلية ما تفتأ تفاجىء العين بتكويناتها الصخرية البديعة التى نحتتها أصابع الريح وإزميل المساقط المائية والشلالات التى تنحدر فوق جوانب الربى والجبال الخضراء إلى البحيرات الطبيعية المنتشرة وسط السهول والأودية.

وللطبيعة عند اليابانى معنى مغاير لثقافتنا، فهى ليست مجرد مناظر

ساحرة، بل إنها تجسيد للقوة الإلهية التى تتمثل فى كل مظهر من مظاهرها، من جبال وغابات وغدران وينابيع وبحيرات.. إلخ ولذلك يحرص اليابانيون على الخروج إليها زرافات فى رحلات للحج، لاسيما فصل الصيف، حيث ينزلون مثلا فى مياه البحيرات التى تحيط بجبل فوجى ياما المقدس، فإذا ما جن الليل صعدوا الجبل، وكل منهم يحمل مصباحا فى موكب مهيب يخال الرائى من بعد أنه يرى كوكبة من النجوم اللامعة تتصاعد إلى السماء.

ويقدر عدد سكان اليابان بحوالى ١٤٣ مليون نسمة، يعيشون فى نحو ٣٣٠٠ جزيرة تمتد ما بين خطى عرض ٤٥ و٢٩ شمالا، وأكبرها أربع جزر هى من الشمال إلى الجنوب هُكيدو وهُنشو وشيكوكو وكيوشو، ويفصلها عن آسيا بحر الصين وتطل من الشرق على المحيط الهادىء، وساحل المحيط يتميز بكثرة التعاريج التى تؤلف أشباه جزر تحصر بينها خلجانا كبيرة وصغيرة تصلح لأن تكون موانىء طبيعية، أما الساحل الغربى المواجه لآسيا، فأقل تعاريجا، وتكثر به الكثبان الرملية، وهو أقل صلاحية لإقامة الموانىء الكبرى.

ويعتقد العلماء أن الجزر الأربع الرئيسية تكونت فى العصر البليولوزى وكانت كتلة واحدة فى بادىء الأمر، ثم انفصلت جزيرة هكيدو عن هنشو فى العصر الجوراسى الأعلى، ثم تعرضت اليابان إلى مجموعة من الثورات البركانية العنيفة انفصلت على أثرها جزيرتا

كيوشو وشيكوكو، ومازالت أرض اليابان حتى اليوم غير مستقرة وتتعرض من حين إلى آخر لهزات أرضية عنيفة، ويقال إن المصادر التاريخية قد سجلت خلال الألف عام الماضية حوال ١٥٠ زلزالا عنيفا، كان أشهرها زلزال عام ١٩٢٣ الذى دمر نصف مدينة طوكيو وأهلك ٥٨ ألفا من سكانها.

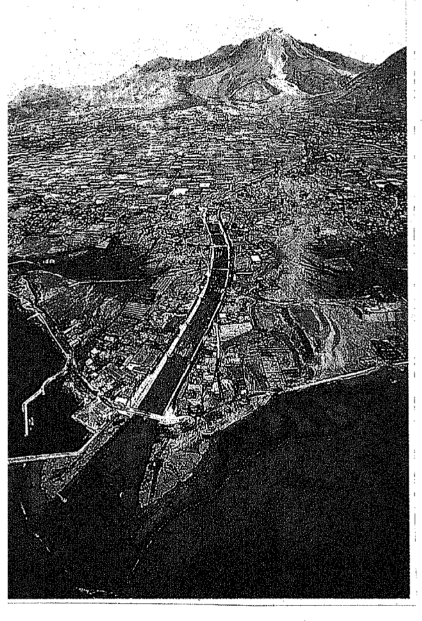
ونتيجة لذلك تكثر الينابيع الحارة فى أرض اليابان، ويقدر أن بها ٩٥٠ ينبوعا منها ما ينبثق من الوديان ومنها ما تتشقق عنه قمم الجبال وسفوحها ومنها ما ينبع بالقرب من شاطىء البحر أو بالقرب من البحيرات، وبعضها شديد الحرارة إلى الحد الذى تخرج منه المياه فى صورة بخار.

أما الأنهار فمعظمها قصيرة وسريعة الجريان نظرا للطبيعة الجبلية لتلك الأرض والضيق النسبى لجزرها، وأطول هذه الأنهار (أشيكارى فى هكيدو) لايزيد طول مجراه عن ٤٣٠ كم، وإلى جانبه يوجد ١٠٠ نهر آخر تقريبا تزود اليابان بحوالى ٨٠٪ من مياه الرى. وتستغل هذه الأنهار السريعة فى توليد الكهرباء لتعوض اليابان عن فقرها فى إنتاج النفط.

ويمر بجزر اليابان تياران بحريان هامان، أحدهما دافىء ويأتى من المنطقة الاستوائية من الجنوب (كورشيو) والثانى بارد ويأتى من الشمال (أوياشيو)، ويكسب الأول مناخ هنشو وشيكوكو شيئا من الدفء، بينما يتسبب الثانى فى برودة جو هُكيدو، ويلتقى التيارات عند خط

عرض ٤٠، ويؤدى امتزاج الماء الدافىء بالبارد إلى تصاعد البخار وتكاثفه. وتعتبر هذه المنطقة من أغنى بقاع الصيد فى العالم.

وينتمي اليابانيون إلى الجنس المغولي، ولكن لايعرف على وجه التحديد من أين أتى أسلافهم الأوائل، ويبدو أنهم نتاج امتزاج مجموعةمن الهجرات من كوريا والصين وبولينزيا



قناة لتصريف الحمم البركانية بعيدا عن المدينة.. هكذا يعيش اليابانى معركة يومية دائبة مع عوامل الطبيعة القاسية التى تهاجمه بالأعاصير والزلازل والبراكين، ولكنه يابى أن يستسلم لها

والصين وبولينزيا (جزر المحيط الهادىء)، ويتصف اليابانيون بوجه عام بقصر القامة وانحراف العيون ونعومة الشعر، وسكان الشمال (الأينو) أطول قامة وأميل إلى بياض البشرة، ويعتقد البعض أنهم من سلالة السكان الأوائل لليابان. وعلى غرار الهند، كانت توجد في الماضى فئة من السكان المنبوذين تعرف باسم «البوركورمين» (سكان القرى). وإلى جانب هؤلاء توجد جالية من الكوريين الذين استقروا فى اليابان أثناء فترة الاحتلال اليابانى لكوريا.

وعلى عكس الاعتقاد الشائع، فاللغة اليابانية تختلف اختلافا كليا عن اللغة الصينية، فهى تنتمى إلى عائلة اللغات الأليتية، التى تنتمى لها اللغات الكورية والتركية، وهى تكتب بعلامات مقطعية لاحروف هجائية، أى أن كل علامة تتألف من مقطع صوتى معين، وهى تكتب فى أعمدة رأسية من اليمين إلى الشمال، ولايستخدمون فى كتابتها الأقلام بل الفرشاة المغموسة فى المداد.

وبرغم دماثة اليابانيين التقليدية التى يشعر بها الزائر، إلا أنهم يعتقدون أنهم جنس مميز من البشر، فالأساطير القديمة تروى أنهم ينحدرون من سلالة إله الشمس، وهم يطلقون على الأجانب اسم «جيچين» تمييزا لهم عن اليابانى الحق، وفى ظل المناخ الديمقراطى الذى نعمت به اليابان بعد انهيار الحكم العسكرى القديم عقب الحرب العالمية الثانية، أخذت هذه النعرة القديمة تتلاشى وهى النعرة التى

حرص العسكريون على إذكائها فى نفوس مواطنيهم لكى يقنعوهم بأن من حقهم الاستيلاء على أرض غيرهم لأنهم أدنى منهم فى المرتبة الإنسانية، وقد دفعهم هذا إلى ارتكاب تلك الفظائع التى أشرنا إليها من قبل ضد سكان المناطق والبلدان التى استعمروها قبل وأثناء الحرب (كوريا ومنشوريا والصين وأندونيسيا.. إلخ). وهذه النزعة المغالية فى الاعتداد بالعنصر أو الانتماء إلى جنس أو وطن معين تعرف بـ «العنصرية» أو «الفاشية» تمييزا عن النزعة الوطنية الحميدة، التى تدفع الإنسان إلى الاستبسال فى الدفاع عن وطنه، لا الاعتداء على أرض غيره، ولاتنسيه اعتبارات الإنسانية والشرف والأخلاق.

وحتى لانظلم اليابان فقد عرفت معظم الدول والشعوب هذه النزعات القومية أو الدينية أو العنصرية المتطرفة فى أوقات مختلفة، لعل أبرزها فاشية موسولينى فى إيطاليا ونازية هتلر فى ألمانيا وهلم جرا.. ولكن ثورة الاتصالات والرقى الثقافى والحضارى ونمو دعوة حقوق الإنسان، كلها عوامل تمهد الطريق إلى القضاء على تلك الأوهام العنصرية وتدعيم أواصر الإخاء الإنسانى.

ومناخ اليابان مطير معتدل فى الجنوب وبارد فى الشمال بفعل التيارين البحريين الدافىء والبارد اللذين يمران بأرضها، وقد ترتفع درجة الحرارة فى الجنوب فى فصل الصيف، لاسيما فى المدن الساحلية التى تتأثر برطوبة الجو أكثر من المناطق الداخلية المرتفعة،

وعلى النقيض من هذا شتاء المناطق الشمالية الطويل قارص البرودة حيث تكسو الثلوج السهول والمروج، فكأنما هى قطعة من قفار سيبيريا الثلجية المجاورة، وفضلا عن هذا تتعرض السواحل الشرقية لأعاصير عاتية من حين إلى آخر، وقد لاتقل بعض هذه الأعاصير فى قوة تدميرها عن الزلازل العاتية.

ومن المدهش أن اليابان، على قوة اقتصادها، بلد فقير فى الموارد الطبيعية باستثناء المجارى المائية السريعة التى تستغل فى توليد الكهرباء. ولكن هذا الفقر فى الموارد لم يمنع اليابان من التفوق فى كل مجال من مجالات الصناعة الحديثة الميكانيكية والإلكترونية، فهى أشهر منتجى السيارات والسفن والقطارات فى العالم، أما المنتجات الإلكترونية بدءا من الراديو حتى أعقد أجهزة الكمبيوتر فهى تنافس مثيلاتها الأوروبية والأمريكية، وطموح اليابانيين فى هذا المجال لايعرف حدودا، فقد حاولوا فى الثمانينيات تطوير برنامج لصناعة أجهزة كمبيوتر مفكرة، أى تحاكى قدرة العقل البشرى على التفكير والابتكار، ولكنهم اضطروا فيما بعد للتخلى عن هذا المشروع لأن الإمكانيات العلمية المتوفرة فى الوقت الحالى لاتسمح بتحقيقه، غير أن هذا لم يفت فى عضدهم، فبدأوا برنامجا آخر لصناعة أجهزة كمبيوتر دقيقة لاتزيد فى حجمها عن الكائنات المجهرية، بحيث يمكن إرسالها فى مجرى الدم لعلاج بعض الأمراض المستعصية التى تعجز رسائل الطب التقليدية عن علاجها.

فما سر هذا الشعب العجيب الذى هو أقرب إلى الأقزام من حيث القامة، ولكنه أعتى جبروتا من العمالقة من حيث قوة الإرادة ومضاء العزم والتصميم!

ملامح الشخصية اليابانية

شبه أحد الشعراء الطبيعة فى اليابان بفتاة حلوة مدللة تجذب القلوب إليها بجمالها، وتثير النشوة بفتنتها، غير أنها إذا ثارت تحولت إلى نمرة هائجة لاتبقى ولاتذر.

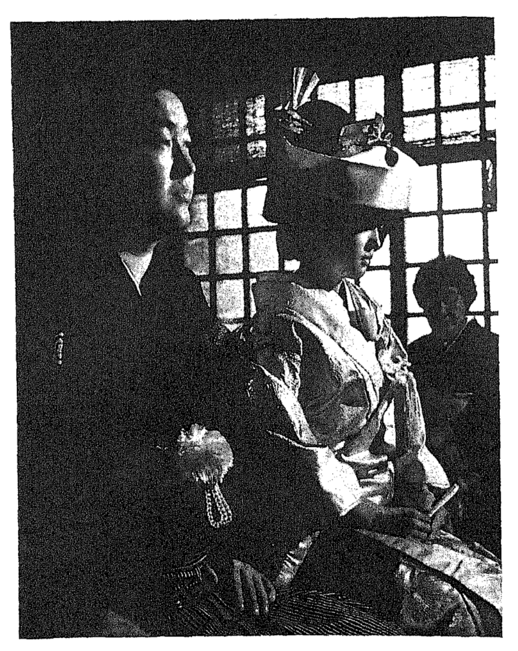
وما أصدقه من وصف، فالطبيعة سخت على اليابان بجمالها، ولكنها ما فتئت تباغت أهلها بثوراتها الجامحة من زلازل وأعاصير وبراكين تفتك بهم، وتقوض أبنيتهم. وبرغم ذلك فقد علمتهم قسوة الطبيعة فضيلة التعاون، فلا مجال للروح الفردية حينما تدهم الأخطار أرضهم، فعليهم أن يتعاونوا جميعا لدرء الخطر وإغاثة المنكوبين، ولاعجب أن كانت النزعة الفردية فى اليابان أقل من غيرها من البلدان، كما أن التماسك الأسرى والترابط الاجتماعى أشد متانة منه فى سائر أرجاء الأرض.

وتجسد ذلك عقيدة اليابانيين الدينية، وهى تتألف من ثلاث ديانات مختلفة تتعايش كلها فى تواؤم وتكامل تام حتى أن البعض يشبهها بالشجرة جذورها الشنتوية وساقها الكونفوشية وثمارها البوذية، والشنتوية تعنى طريق الأرباب، وهى أقدم ديانات اليابان، وتتلخص

فكرتها فى تقديس مظاهر الطبيعة وعبادة الأسلاف، فالموتى يتحولون إلى أرباب يحمون نسلهم ويكفلون لهم الرعاية، وفى المقابل على الأبناء أن يهتموا بذكرى آبائهم وتقديم القرابين إلى أرواحهم.

وعبادة الأسلاف هذه أدت إلى تدعيم إحساس الفرد بانتمائه إلى أسرته وإلى مجتمعه ككل، بحيث تذوب ملامح شخصيته فى ملامح ذلك المجتمع. وإذا كان لكل أسرة عائل واحد مسئول عن أمورها، ويخضع لنصحه وأوامره جميع أفرادها، فمن الطبيعى أن يحكم المجتمع فرد واحد، يكون بمثابة العائل للأسرة الكبيرة التى يتألف منها أفراده، وهذا النظام هو ما نعرفه بالمجتمع الأبوى، ولهذا النظام بطبيعة الحال مميزاته من حيث الترابط والتكافل، ولكنه لايشجع على نمو الشخصية الفردية وروح الإبداع والابتكار، وهى من ألزم مستلزمات حضارة العصر الحديث، ولو أن اليابانيين قد تنبهوا إلى خطر الإسراف فى الانصياع لحكم الفرد لربما ما تورطوا فى الحرب العالمية وما تعرضوا لتلك الويلات الهائلة.

وتنكر الشنتوية الحساب والعقاب فى العالم الآخر، بل تجعل كما قلت أرواح الموتى أربابا، ومن ثم كانت استهانة اليابانيين بالموت، فالموت لديهم بداية الخلود، ولايعنى هذا أن الشنتوية مجردة من الحس الأخلاقى، فهى تقضى بمبدأين مهمين هما نظافة الجسد وطهارة الضمير أو الروح، ومن ثم كان اليابانى الذى يحس أنه أذنب أو أتى أمرا



حفل زفاف تقليدى فى معبد شنتوى، لاحظ القبعة الكبيرة التى ترتديها العروس والتى يقال إنها تقمع الغيرة، ومن عنقها يتدلى خنجر صغير يرمز إلى أنها تؤثر الموت أن تلوث شرفها أو سمعتها

مخلا بالشرف لايتردد فى الانتحار.

والانتحار فى جميع أنحاء الدنيا تقريبا وفى مختلف الديانات

السماوية إثم لأنه لون من قتل النفس التى حرم الله قتلها والتى هى ملك خالقها، ولكنه فى الشنتوية واجب على من يلحق باسمه العار، وللانتحار هناك طقوس خاصة تعرف باسم «السبكو» أو «الهاراكيرى»، ويدعو المنتحر أصدقاءه لمشاهدته وهو ينتحر، ويجلس المنتحر القرفصاء أمام أصدقائه، ثم يكشف عن بطنه ويمسك بخنجر ويطعن به بطنه ويشقها من الجانب الأيسر حتى الجانب الأيمن، فإذا ما انتهى من ذلك، رفع أقرب أصدقائه إليه سيفا وهوى به على عنقه لكى يجهز عليه.

وقد كان تمسك اليابانيين بتلك الطقسة عائقا فى سبيل انتشار المسيحية فى الماضى لأنها تحرم الانتحار، ولكن اليابانيين اليوم قد تخلوا عن الكثير من تلك العادات القاسية بفضل انتفاحهم على الثقافات والحضارات الأخرى، دون أن يؤثر هذا على إحساسهم العميق بالالتزام نحو المجتمع والحرص على الشرف.

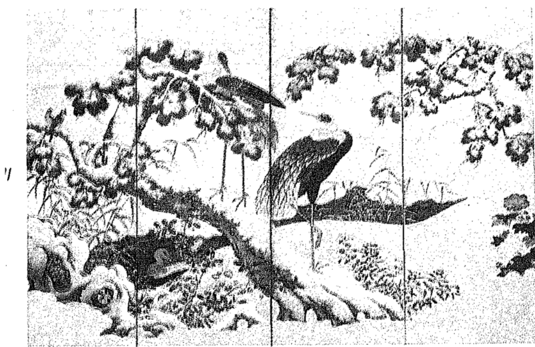
وهذا الالتزام كان دافعا إلى تفانى اليابانى فى العمل، فالعمل ليس مجرد وسيلة للرزق، بل هو حياة لليابانى، وقد اضطر رئيس الوزراء مؤخرا إلى مناشدة اليابانيين الإقلال من العمل، وتخصيص مساحة أكبر من وقتهم للأنشطة الترفيهية وذلك تحت ضغط الدول الغربية التى بدأت تستشعر وطأة منافسة اليابانيين لصناعاتها.

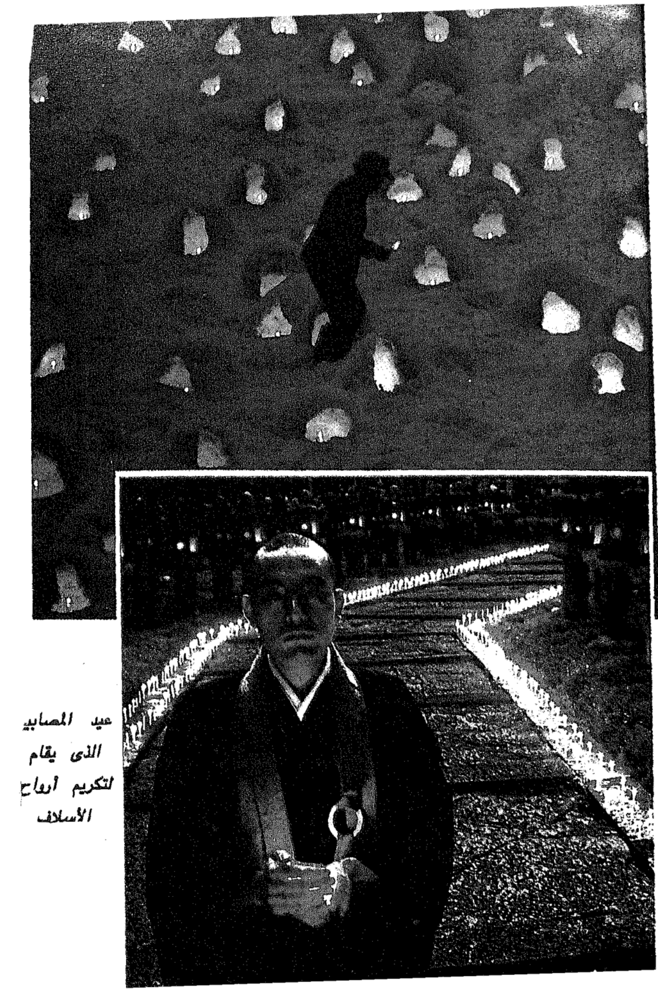
أما الكونفوشية، عقيدة أهل الصين، فقد وجدت طريقها إلى اليابان من كوريا، وهى ليست بدين حقيقى بل هى مذهب أخلاقى وضعه



ثلاث فتيات يرتدين الكيمونو التقليدى
والأحذية الخشبية القديمة التى تشبه القبقاب

متهر اليابان بصناعة اللعب والدمى وتستغل بعض
ه الدمى فى عروض مسرحية خاصة واشهرها فى
ماكا، وكذلك فى الأعياد الخاصة بالفتيات، ومعظم
هذه المنتجات الفنية الدقيقة تصنع فى البيوت



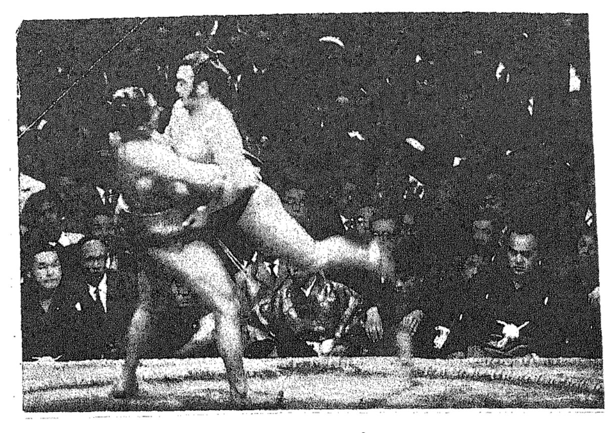


عيد المصابيح
الذى يقام
لتكريم أرواح
الأسلاف



أحد ممثلى النو يرتدى قناعه التمثيلى ٥

أحد الاحتفالات الدينية التى لاتكاد تنقطع فى كيوتو (العاصمة القديمة) حيث تخرج تماثيل الآلهة محمولة فى مركبات مزخرفة يجرها الشباب ويتزاحم الجمهور فى الطرقات للمشاهدة والدعاء



مصارعة السوما من أحب الرياضات لليابانيين،
وهى تعتمد إلى حد كبير على ثقل وزن اللاعب

الحكيم الصينى «كونج فوتسى» أو «كونفوشيوس» كما يعرفه أهل الغرب فى القرن السادس قبل الميلاد، وينهض هذا المذهب على الحب البنوى للآباء والولاء للأسرة، وكان من الطبيعى أن يرحب اليابانيون بذلك المذهب، ولكن بعد أن فسروا عقيدة الحب البنوى إلى الولاء للإمبراطور. وقد زودت الكونفوشية الشنتوية بحاجتها من التعاليم الأخلاقية، فالكونفوشية تنهض على مبدأ أن الخير (الجين) هو أفضل ميزة يتحلى بها الإنسان، وهو الطريق إلى إحلال السلام فى المجتمع، وعلى المرء أن يلتزم به فى سلوكه اليومى، بحيث تكون أفعاله مرآة للشهامة والمروءة ونقاء السريرة والمثابرة والعطف.

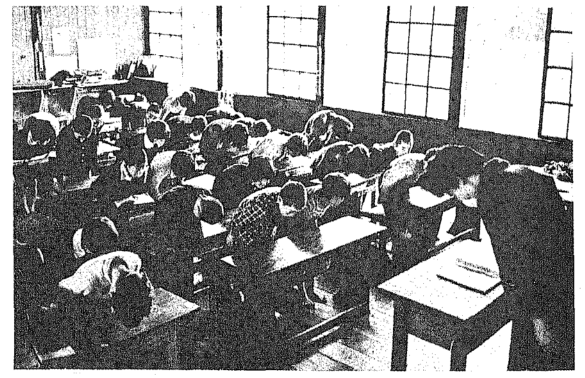
وفى نفس الفترة تقريبا التى كان كونفوشيوس يبشر فيها بتعاليمه، فر أمير هندى من قصره وقرر أن يحيا حياة النساك التماسا لخلاص الروح، ثم بدأ يبشر بتعاليمه الجديدة، وأطلق عليه تلاميذه اسم بوذا أى «المستنير» وجوهر هذه العقيدة (البوذية) أن الحياة سلسلة من عمليات الميلاد والموت حيث تخرج الروح من الجسد بعد الموت لتولد من جديد فى جسد إنسان أو حيوان آخر، وسلوك الإنسان فى حياته هو الذى يحدد الكائن الذى ستتلبسه روحه، فإذا كان خيرا، فسيكون من النبلاء أو الحكماء، أما إن كان شريرا فقد تنتهى روحه إلى كائن أدنى.. وعلى الإنسان أن يواصل بالعمل الصالح والتزام الفضيلة السعي إلى السمو بروحه حتى تصل فى النهاية إلى الاتحاد بالروح العالمى الذى يحكم الكون.

وإيمان المرء بالشنتوية لايتنافى مع عقيدته البوذية أو التزامه الأخلاقى بالكونفوشية، فهذه المذاهب تتضافر جميعا فى تشكيل الأخلاقيات والقيم اليابانية التى كما ذكرت تنحو إلى الروح الجماعية والولاء للوطن والأسرة والتفانى فى العمل، وقد تجد الرجل الواحد يؤدى الصلاة فى معبد شنتوى، ثم يخرج منه للصلاة فى معبد بوذى.

وأرباب اليابانيين كثيرون يخطئهم الحصر، وقد يصلوا إلى ٨ ملايين إله، أى شعب كامل من الأرباب، ولكنهم مع ذلك يؤمنون بإله أعلى، وما تلك الأرباب الأخرى سوى قوى تجسد مظاهر الطبيعة. ومن الغريب أن

شعبا قد وصل إلى ما وصل إليه اليابانيون من رقى علمى مازال يؤمن بتلك العقائد التى تتناقض مع المنطق وتتنافى مع الحقائق العلمية، وكيف لشعب يصنع أعقد أجهزة الكمبيوتر أن يؤمن بأن للأشجار والجبال والينابيع أرواحا وأنها قوى يمكنها أن تنفع أو تضر. الأمر مرده إلى سلطان التقاليد القديمة الراسخة التى ارتبطت ارتباطا قويا مع تلك العقائد حتى يفضل المرء ألا يناقشها خشية أن تتقوض دعائم الشخصية اليابانية إذا انهارت.

والصدق والأمانة والأدب الجم عوامل أساسية فى نجاح اليابان

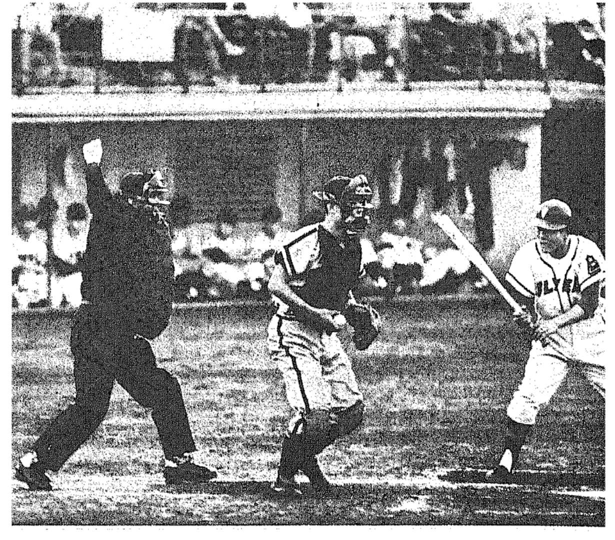


أسلوب التحية التقليدى بانحناء الرأس عدة مرات ويستخدمه الكبار والصغار على حد سواء مثل هذه المعلمة وطلابها

الاقتصادى، والحق أن المسافر يلمس فى جميع البلدان المتقدمة سواء فى الشرق والغرب هذه السمات الخلقية، ولايمكن لاقتصاد أن ينهض على الغش والخداع وهى ظاهرة يمكن أن نلمسها فى حياتنا العادية، فالمرء العاقل لايقبل على الشراء من تاجر فظ أو يغالى فى أسعاره أو يشتهر بالكذب مهما كانت بضائعه جيدة. ولذا يعد الكذب وعدم الوفاء بالوعد إثما كبيرا يفقد الإنسان شرفه.

واليابانيون كغيرهم من الأمم الشرقية يحرصون حرصا شديدا على أدب الحديث والإفراط فى المجاملة إلى حد قد يثير دهشتنا نحن المصريين على ولعنا بالمجاملة، فالياباني لايخاطب المرء بأنت بل «بحضرتك»، وهو إن دعاك إلى منزله، لايقول كالأمريكى «لماذا لاتأتى إلى بيتى؟ أو هيا بنا إلى البيت؟» ولايكتفى بقول المصرى «أرجو أن تشرفنا بزيارتك» بل يقول «أرجو أن تتنازل وتتعطف لتشرف بيتنا المتواضع أو الذى هو دون مقامك». وهو لايفعل ذلك للملق الرخيص أو التزلف للحصول علي منفعة، فالاعتداد بالكرامة سمة الجميع. ومن المشهور عن اليابانيين رفضهم للبقشيش باعتباره إهانة لكرامتهم، والجميع يتعففون طلبه، وهو أمر يثير دهشة واحترام الزائر الشرقى والغربى على حد سواء.

ولايعنى هذا بطبيعة الحال أن اليابانيين شعب من الملائكة، فلديهم هم أيضا لصوص ومنحرفون ومرتشون وعصابات إجرامية منظمة على



تعلم اليابانيون رياضة البيسبول من الأمريكيين وتعتمد هذه الرياضة على قذف كرة ليحاول لاعب الخصم الواقف فى أقصى طرف الملعب صدها بمضرب خشبى خاص (اللاعب الأيمن)

على غرار عصابة المافيا الشهيرة تعتبر من أخطر وأقوى التنظيمات العصابية فى العالم. ولكن ما تحدثنا عنه هى السمات الغالبة على هذا الشعب والتى كانت وراء سر نجاحه العظيم فى الخروج من دائرة التخلف واللحاق بركب المستقبل.

ومن عيوب الشعب اليابانى الميل إلى الإسراف فى شرب النبيذ، وأشهر أنواع النبيذ هناك هو الساكى، وهو نبيذ قوى يصنع من الأرز

المخمر، كما أن المجتمع اليابانى مجتمع صارم لايتيح الفرصة الحقيقية لمجال الإبداع الفردى والتماين، وإن كانت هذه الصرامة لم تعد بنفس الحدة القديمة بفضل التأثيرات الأوروبية، التى تشجع كل فرد على أن تكون له ذاته المستقلة وأفكاره الخاصة شريطة ألا يضر بالآخرين.

والمجتمع اليابانى بوجه عام مجتمع رجالى لاتنعم فيه المرأة بمساواة حقيقية، فبرغم أنها نزلت إلى ميادين العمل وتظفر بفرصة متكافئة فى التعليم لكنه من الصعب أن تشغل المناصب القيادية، وذلك بأثر التقاليد القديمة التى لم تكن ترى أن دور المرأة يتعدى وظيفتها كزوجة وأم عليها أن توفر الحياة الهانئة لأسرتها والخضوع لزوجها خضوعا كاملا. والمشكلة التى تعانى منها اليوم اليابان بعد أن انفتحت على العالم أن الكثير من الفتيات اللائى رأين ما تنعم به المرأة فى دول العالم الأخرى من مساواة ومكانة سامية أتاحت لها حتى فى بعض بلدان العالم الثالث والبلدان الشرقية أن تشغل منصب رئاسة الوزراء (الهند وباكستان وتركيا.. إلخ) يطالبن بتغيير هذه العادات القديمة وإتاحة الفرصة لهن لشغل المناصب القيادية ويطالبن بالمساواة مع الرجل.. ويقينا فإن التطور الحضارى فى ظل ثورة الاتصالات التى تتزعمها اليابان كفيل بأن ينشط التفاعل الثقافى بين الشعوب المختلفة ليتعلم كل منها ويستفيد من تجارب الشعوب الأخرى.

طوكيو

تطالع طوكيو زائرها بوجهين يحسبهما مختلفين كل الاختلاف، فهى مدينة غربية فى مظهرها وهيئتها، ولكنها فى روحها يابانية حتى النخاع. ويتأكد هذا الإحساس عندما تزور منتزه شيبا، وترى برج طوكيو المعدنى الذى يحاكى برج إيفل الفرنسى الشهير، وإن كان يبذه ارتفاعا، وقد أقيم هذا البرج العملاق الذى يصل وزن الحديد المستخدم فى بنائه إلى ٤ آلاف طن ولم تمض عشر سنوات أو نحو ذلك على هزيمة اليابان واستسلامها للولايات المتحدة، وكأنما أرادت بذلك أن تعلن عن إصرارها على رفض الهزيمة.

ومن قمة البرج يرى الزائر مدينة طوكيو (١٢ مليون نسمة تقريبا) تترامى بعيدا إلى التلال والحقول الخضراء التى تكتنفها من جميع الجهات، فيما عدا الجانب المطل على خليج طوكيو هوان حيث ميناؤها الكبير.

والحق أن طوكيو لم تكن قبل أربعة قرون سوى قرية صغيرة، ومازال الكثير من أحيائها يحمل أسماء تشير إلى طابعها الريفى مثل «أوشيجومة» (قطيع الثيران) و«أمورى» (الغابة)، ومنها أسماء شاعرية مثل أكيها بارا (سهل أوراق الخريف).

وكان اسم المنطقة نفسها «إيدو» ويعنى مصب النهر، إشارة إلى نهر سوميدا الذى يخترق المدينة الآن فى منتصفها تقريبا ليصب فى مياه

الخليج. أما اسم طوكيو ومعناه العاصمة الشرقية فلم تحمله بالطبع إلا بعد أن صارت عاصمة للبلاد.

وكان طوكوجاوا أول من تنبه إلى أهمية موقع قرية «إيدو» التى تحتل مركزا متوسطا بالنسبة لليابان، وتمتاز بحصانة طبيعية، فأقام بها حصنا ضخما عام ١٦٠٣، واتخذها قاعدة لحكمه بعيدا عن كيوتو، مقر الإمبراطور، الذى لم يكن فى واقع الأمر سوى صورة أو واجهة رسمية يحكم باسمها طوكوجاوا ومن بعده أبناؤه. وظل الحال على هذا المنوال حتى عصر الإمبراطور «ميجى» حينما استسلم آخر الشواجنة من أحفاء طوكوجاوا له وتنازل عن منصبه، وانتقل الإمبراطور إلى طوكيو ليقيم فى قصر الشوجون الذى يحتل الآن مركز العاصمة، ومنه تتفرع أهم الشوارع التى تربط القلب بالأطراف.

وبدأ عصر جديد من النهضة، فأخذت الحكومة تنشىء الطرق الحديثة وتمد خطوط السكك الحديدية وكانت طوكيو من أوائل المدن التى استخدمت المصابيح الكهربائية فى إنارة الشوارع، وأولع اليابانيون فى ذلك العهد بطراز العمارة الفيكتورية، فعمدوا إلى محاكاته فى أبنيتهم الرسمية. ومن أسف أن زلزال عام ١٩٢٣ دمر معظم هذه المنشآت القديمة، وتكفلت الغارات التى تعرضت لها طوكيو أثناء الحرب بمحو البقية الباقية، ومن الآثار القليلة التى نجت من الدمار الجسر العتيق الذى ينهض أمام بوابة القصر فوق الخندق العميق الذى يحيط أسواره.



لاتختلف المدن اليابانية الحديثة عن المدن الأوروبية
إلا فى لافتاتها المكتوبة دائما باليابانية

وكان هذا الجسر هو المركز الجغرافى لليابان الذى تحسب من موقعه المسافات بين العاصمة والمدن والقرى، ومنه كانت تتحرك الجيوش فى الماضى.

ومن ينظر من البرج إلى طوكيو يخال أنه يشاهد مدينة غربية

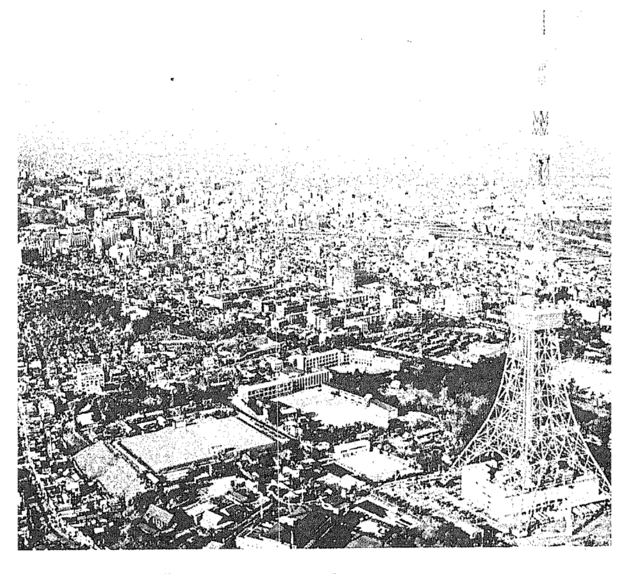
لاتختلف عن أى مدينة أمريكية فى هيئة مبانيها الحديثة أو شوارعها الفسيحة المزدحمة بالسيارات أو ثياب المارة الذين هجروا تقريبا الكيمونو القديم الشهير، الذى لاتكاد تراه إلا فى داخل البيوت وفى بعض المناسبات الخاصة.

والكيمونو ثوب بسيط أنيق يشبه القفطان وكان الرجال والنساء يلبسونه على حد سواء، وإن كان ثوب الرجل يتخذ من قماش خشن وألوان قاتمة، بينما تمتاز ثياب النساء بألوانها ونقوشها الجذابة البديعة، وكان مما يزيدها جمالا الحزام العريض الذى كان يعقد خلف الظهر بهيئة الفيونكة الكبيرة، فتتراءى المرأة من الخلف وهى تسير كالفراشة المحلقة.

ولولا اللافتات اليابانية والسحنة الآسيوية للمارة، لما أدرك المرء أنه فى قلب اليابان.

وبرغم ذلك فخلف هذا القناع الغربى يخفق قلب اليابان، فعلى مسافة قريبة من البرج يوجد ضريح قديم يعود إلى القرن الثامن عشر ويعرف باسم ضريح السموراى. والسموراى هم طبقة المحاربين فى اليابان القديمة. وكان لكل أمير إقطاعى مجموعة من هؤلاء المحاربين شديدى المراس يدينون له بالولاء والطاعة، التى هى جزء أصيل من السلوك اليابانى.

ويقال إن أحد هؤلاء الأمراء الإقطاعيين دعى إلى قصر الإمبراطور



برج مدينة طوكيو الذى أقيم على غرار برج إيفل
ومن أسفل تمتد مدينة طوكيو حتى ساحل المحيط

كيوتو، ولم يكن هذا الأمير الريفى قد شارك فى حفل من هذا النوع من قبل، فأخطأ فى قواعد البروتوكول، وكان أن سخر منه أحد موظفى القصر، فاستشاط الأمير غضبا، واستل سيفه، وطعن به الرجل، وبرغم أنه لم يمت إلا أن الإمبراطور أمر الأمير بأن يكفر عن خطيئته -تجرد

السيف فى بلاط الإمبراطور - بالانتحار، ولكن موظف القصر لم يكتف بذلك، بل أخذ يلح على الإمبراطور لكى يلحق العقاب بآل الأمير جميعا، وأمر الإمبراطور بتدمير قلعة الأمير، وتوزيع أرضه على رجاله من السموراى.

ولكن نفرا من هؤلاء المحاربين استبشع هذا الظلم الفادح، فاتفقوا على قتل الموظف الذى ألحق بسيدهم كل هذه النكبات، وكان أن تسللوا إلى قصره بعد أن قيدوا خدمه وحراسه وقتلوه. وقد أثار سلوكهم هذا الذى يعبر عن الولاء إعجاب النبلاء والإمبراطور. وبرغم أنهم أجبروا على الانتحار تكفيرا عن جريمة الاعتداء على موظف القصر، لكن النبلاء أقاموا لهم هذا الضريح الذى ما فتىء اليابانيون حتى اليوم يزورونه ويحرقون البخور فوق قبور هؤلاء الفرسان الذين يجسدون القيم اليابانية.

فاليابان هى اليابان مهما بدلت أثوابها، فالموظف أو العامل اليابانى قد يرتدى أحدث الثياب الأوروبية، ويدير عمله فى كثير من الأحيان بالكمبيوتر وأحدث التقنيات الفنية، ومع هذا فولاؤه لعمله وشركته هو ولاء السموراى القديم لسيده وإقطاعيته. فهو ليس مجرد أجير يعمل من أجل أن يتقاضى راتبا، بل إن همه أن يعمل ويعمل من أجل أن تنجح وتزدهر شركته. وعلى النقيض من أوروبا وأمريكا لايسعى الموظف إلى البحث عن عمل آخر فى شركة أخرى براتب أفضل، لأن الموظف الذى يتخلى

عن شـركـتـه الأم، يخل بولائه لهـا، ولذا لايحظى بالاحـتـرام. وفى ذات الوقت لاتسـعى الشركات إلى التخلص من موظفيها إذا زادت أعدادهم عن حاجة العمل أو إذا مرت بضائقة مالية، فهى إما أن تسعى لتدريبهم على أعمال أخرى هى فى حاجة إليها، أو أن العمال والموظفين أنفسهم يقبلون التضحية ويخفضون من أجورهم حتى يساعدوا الشركة على اجتياز محنتها.

كـذلك فـإن روح اليـابان الأصيلة تتـجلى فى كثـرة المنتـزهات فى العاصـمة التى تعبر عن مدى ولع اليابانيين بالطبيعة، وهو ولع يستمد جذوره من عقائدهم الدينية كما ورد من قبل. وهذا العشق للطبيعة يغرسه الآباء فى الأبناء، وتهتم المدارس بتلقينه للصغار، بل إن هناك مدارس خاصة لتعليم فن زراعة الزهور وتنسيقها، ومن ولع اليابانيين بالزهور أنهم يفضلون تأريخ خطاباتهم الشخصية بأنواع الزهور، إذ إن لكل أسبوع مجموعة من الزهور تختص به ويعرفها الناس.

ويحرص اليابانيون على اختيار الأشجار المورقة طيلة العام لإكساب الحدائق مظهر الحياة، وهم يفضلونها على الأشجار النفضية (التى تتساقط أوراقها فى الخريف والشتاء) ويكثرون من زراعة أشجار الفاكهة، لاسيما الخوج والكريز، المعروفة بجمال أزهارها.

ويعمد البستانى فى كثير من الأحيان إلى التفنن فى تصميم حديقته، فيجعلها تحاكى منطقة جبلية بصخورها وتلالها وأنهارها وبحيراتها

وجسورها، حتى أصبحت الحدائق اليابانية مضرب الأمثال فى جمالها وروعة تنسيقها.

ومعظم هذه المنتزهات تحتوى على مقاصير أو معابد لأرباب الطبيعة. ومعظم هذه المعابد يبنى من الأخشاب، وهى مادة البناء التقليدية فى اليابان التى تشتهر بكثرة الأشجار وكثافة الغابات. وإلى جانب سهولة ويسر استخدام الأخشاب فى البناء، فهى تحقق ميزة مهمة، وهى اندماج البناء فى الطبيعة أو انسجامه معها، وهو هدف أساسى من أهداف العمارة اليابانية التى تقدم الأناقة والجمال على الفخامة بل وعلى الراحة.

ويجسد هذه القيم البيت اليابانى التقليدى، فهو فى العادة بناء صغير لايزيد ارتفاعه على طابقين من الخشب. وتحيطه أو تتقدمه حديقة، والباب ينزلق إلى الجانب بحيث يمكن تحويل واجهته إلى شرفة، أما فى الداخل فلا نجد جدرانا حقيقية، فجميع الفواصل متحركة، ويمكن التحكم فيها بحيث توسع الغرف أو تضيق حسب الحاجة، بل يمكن تحويل المنزل نفسه إلى قاعة واحدة مفتوحة، والأثاث بسيط لايزيد فى المنزل التقليدى على الحصير السميك والمناضد الوطئة، ويجلس الناس على الأرض أو على حشايا حول جدران الغرفة.

ولاتوجد بالمنزل غرف نوم بالمعنى التقليدى، فلا ينام اليابانى فى البيوت التقليدية على سرائر، بل ينام على حشية ويضع رأسه على

وسادة صغيرة عبارة عن قطعة من الخشب المبطن بالقماش، وهى طريقة مؤلمة للنوم لمن لم يألفها، وكانت النساء فى واقع الأمر هنَّ أول من ابتدعها، لأنها ترفع الرأس عن الأرض وتترك الجزء العلوى منها معلقا فى الهواء فلا تفسد تسريحة الشعر، وكما قلت فالراحة تأتى فى المقام الثانى بعد الأناقة والجمال.

وأثمن مافى البيت اللوحات التى تزينه والزهور التى تستخدم بكثرة فى أركانه، ولافارق هنا بين الغنى والفقير، ومن الملامح المهمة، كوة توضع فيها صور الأعزاء الراحلين، ويحرق اليابانيون أمامها البخور، حتى يحظوا ببركة أرواح أجدادهم. وهم يحتفلون فى كل عام بعيد يعرف بعيد المصابيح، وفيه يتوجه الناس إلى مقابر الأسرة، حيث يوقدون المصابيح ويحملونها إلى المنزل ويضعونها فى الكوة أو المقصورة الخاصة بالأجداد لكى تهتدى على نورها أرواح الأسلاف إلى البيت فتباركه. ويجهز أهل البيت مأدبة للأرواح يضعونها أمام المقصورة. وبعد ذلك يحملون المصابيح المصنوعة من ورق خاص، ويضعونها فى النهر لتنحدر مع مياهه إلى المحيط فى مشهد مهيب.

وطقوس الموت تختلف اختلافا بينا عنها عندنا، فأهل المتوفى يلبسون اللون الأبيض علامة الحداد، وقد يبدو هذا غريبا علينا، ولكن البياض هو علامة النقاء الروحانى، ويلف الجثمان فى قماش أبيض، ويحمله الكهنة على أكتافهم، وهم يرتدون كذلك ثيابا بيضاء، ويسير

خلفهم المشيعيون، وتنشد الترانيم الدينية، ثم توضع الجثة أمام محراب المعبد، ويطوف بها المشيعون وهم يرتلون الصلوات ويحرقون البخور، وبعد ذلك تقام مأدبة يشارك فيها الجميع. ويحرق الجثمان فى العادة ويوضع رماده فى مدافن الأسرة ويقام عليه شاهد.

ومن يرى اليابانيين فى عملهم يحسبهم لفرط جدهم شعبا لايعرف المرح، ولكن من يطوف بطوكيو فى ليلها ويرى المسارح ودور السينما والملاهى والمقاصف التى تغص بها شوارعها المهمة وأشهرها شارع جينيزا فى قلب المنطقة التجارية يحسب أن أهلها ينفقون جميع وقتهم فى اللهو بلا عمل.

وللموسيقى فى اليابان طابع خاص فريد، فهى تختلف عن موسيقانا الشرقية وحتى عن الموسيقى الهندية، وإن كانت بعض آلاتها الوترية تشبه آلات التخت الشرقى. وإيقاع تلك الموسيقى بطيء، وقد يبدو مملا للأذن غير المدربة على سماعه، ومن أشهر الآلات الموسيقية التقليدية الشامسين، وهى تشبه الطنبور، وقد استقدمت من مانيلا منذ حوالى ٤٠٠ سنة، والكوتو، وهى تشبه الهارب وعمرها يزيد على ١٢٠٠ سنة والكوكيو وهى تشبه الكمان إلا أن عدد أوتارها لايزيد على ثلاثة، ويضاف إليها الفلوت والكلارينت وهما يصنعان من البامبو، وهناك أنواع متعددة من الفلوت، منها ماله ست فتحات ومنها ماله سبع فتحات، ومنها فلوت مركب من ١٧ قصبة ويشبه الهارمونيكا. وآلات النقر متعددة منها

ما يشبه الرق، ويضاف إلى ذلك الصلاصل (الشخاليل).

والرقص والغناء يمارسان للتسلية أو كجزء من الاحتفالات الدينية. ومن هذه الرقصات الدينية ما كان أحداثا أسطورية وكان الممثلون يعبرون عنها بحركاتهم الصامتة، بينما يتولى أحد الكهنة ترتيل النصوص التى تفسر الأحداث، ويساعده كاهنان آخران يؤديان مهمة



فتاة تتدرب على فن الرقص الذى يعتمد فى اليابان على رشاقة حركات اليدين والساقين وكذلك مروحة اليد التى تمثل جزءا أساسيا من إكسسوار المرأة اليابانية

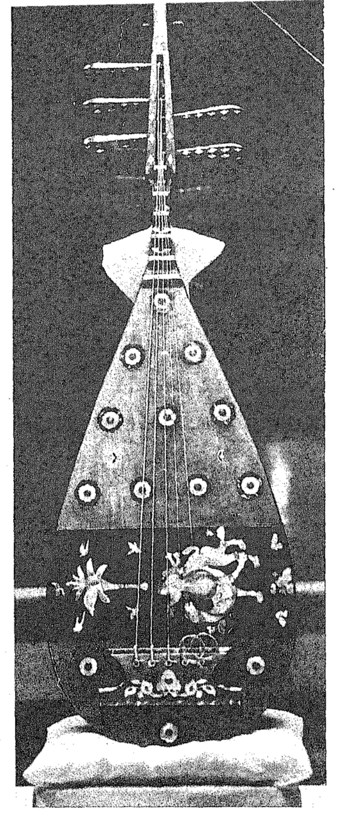
الكورس. ومن هذه الطقوس ولد فن المسرح اليابانى، ومن أقدم أشكاله مسرح النو.

وتؤدى المسرحية على خشبة خاصة مربعة، تجلس خلفها الأوركسترا، وإلى اليمين منها شرفة تجلس عليها الجوقة أو الكورس، ويؤدى الممثلون أدوارهم وهم يرتدون أقنعة خاصة وملابس زاهية الألوان وأغطية رأس معقدة، ولكن فى الغالب لايستعين الممثلون بديكور خاص، وقد أصبحت معظم العروض دنيوية، وإن العرض فى الغالب يبدأ بمسرحية دينية تتلوها مشاهد لمعارك ومغامرات وهلم جرا.

وهناك نوع آخر من النشاط المسرحى يعرف بالكابوكى وقد نشأ فى مطلع القرن السابع عشر، وكانت المسرحيات حافلة بالموسيقى والرقص وتؤدى فى الاحتفالات السنوية، وتتسم المسرحيات بالطول البالغ، إذ كانت تبدأ عند الفجر ولاتنتهى إلا عند غروب الشمس، ومن ثم بات من النادر أن تقدم اليوم مسرحيات كاملة.

ومشاهدة المسرح اليابانى متعة حتى للمشاهد الذى لايعرف اليابانية، لأن المسرحيات عامرة بمشاهد الحركة، وتقنية الخدع أو الحيل المسرحية شديدة التقدم، كما أن معظم المسرحيات تعتمد على الموسيقى والرقص.

وأخيرا فقد برع اليابانيون فى لون آخر مهم، هو مسرح العرائس، والعرائس تصنع بأحجام كبيرة وتتحرك ببراعة شديدة، ومن أشهر مراكز هذا النشاط المسرحى أوساكا.



آلة البيوا وهى تشبه العود الشرقى .. القرن الثامن الميلادى

يوكوهاما

تقع مدينة يوكوهاما على بعد حوالى ٣٠ كيلومترا من طوكيو وهى تطل على نفس الخليج (طوكيو هوان)، وهى أكبر موانىء اليابان. وأحد أهم معاقل الصناعة بها، لاسيما صناعة بناء السفن والحديد والصلب والصناعات الكيماوية والملابس، وتمر بها ٣٠٪ من حجم تجارة اليابان الخارجية. ولايزيد عمر هذه المدينة عن ١٣٠ عاما تقريبا، فقد أقيمت فى الأصل لكى تكون مركزا للتجار الأجانب بعد أن اضطرت حكومة الشوجون إلى النزول على طلبات الولايات المتحدة بفتح أسواقها للتجارة معها، وذلك حتى لايختلط التجار الأجانب باليابانيين وينقلوا لهم أفكارهم المستوردة (كان ذلك بالطبع قبل ثورة الميجى). ولكن سرعان ما نمت المدينة واجتذبت المواطنين اليابانيين إليها من المناطق المجاورة.

وقد دمرها زلزال عام ١٩٢٣ عن آخرها، ثم أعيد بناؤها لتدمر من جديد أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد أعيد بناؤها بعد الحرب للمرة الثانية على غرار طوكيو، وإن كان السائح الذى ينشد التاريخ القديم لن يجد بغيته فيها، وعليه بعد أن يزور متحف الحرير الشهير فيها أن يتوجه إلى مدينة ماكورا المجاورة.

كاماكورا

تقع بلدة كامـاكورا فى شبه جزيرة ميورا التى تحرس مدخل خليج طوكيـو هوان، وكانت مثل طوكيـو قرية صغيـرة من قرى الصـيـادين استرعى موقعها الاستراتيجى اهتمام ميناموتو يوريموتو، مؤسس أسرة الجنجى التى حمل أفرادها لقب الشوجون وحكموا اليابان فعليا (باسم الإمبراطور) لمدة ١٤١ عاما من هذه المدينة، التى يشار إلى ذلك العصر باسمـها، عصر كاماكورا. وكان حكام ذلك العصر من البوذيين الأتقياء، ولذا حـرصـوا علي تزيين عـاصـمـتـهـم بالكثير من المـعـابد البـوذية التى ماتزال قائمة إلى يومنا هذا، إلى جانب المعابد الشنتوية.

ومن أشهر معالم المدينة تمثال عملاق لبوذا يبلغ ارتفاعه حوالى ١٨ مترا، وهو مصنوع من البرونز ويصل وزنه إلى ٩٤ طنا. وكان فى الأصل مذهبا ولكن الطلاء الذهبى اندثر، بعد أن انهار المعبد الضخم الذى كان يضم التمثال. ويقال إن سقف هـذا المعبد كان محمولا على ٦٤ عمودا، وقد انهار فى عاصـفة بحرية هائلة عام ١٣٦٩، ثم اكتسحه المد عام ١٤٩٤. والتمثال مفرغ، ويمكن الصعود فيه من الداخل. ويصور التمثال بوذا جالسـا فى وضـع القرفصـاء وأسه مطرق بعض الشىء وكأنما هو يتأمل، ويداه مبسوطتان على حجره بينما يتلامس الإبهامان، ويقال إن هذا الوضع يرمز إلى رسوخ اليقين، وفى تماثيل أخرى يصور بوذا ويده اليمنى مرفوعة، وكأنما يدعو الناس إليه، وهو وضع التبشير برسالته،

وفى تماثيل أخرى يضم يديه إلى صدره إشارة إلى الجمع بين الحياة الروحانية والحياة الدنيوية.

وهناك معبد أقامته أرملة أحد الشواجنة لحماية النساء اللائى يتعرضن لقسوة أزواجهن، وكانت المرأة إذا تعرضت لأذى زوجها تلحق بالمعبد وتقيم به ثلاث سنوات يحق لها بعدها أن تنفصل عن زوجها القاسى. وهناك معبد آخر أقيم عام ١٢٨٢ على الطراز الصينى وكانت به مقصورة صغيرة يحتفظ فيها بسن تنسب إلى بوذا، وقد دمر زلزال عام ١٩٢٣ هذا المعبد عن آخره.

نكو

ويعنى اسمها ضوء الشمس، وهى بلدة ساحرة تقع وسط الجبال الشاهقة التى تكسوها غابات الصنوبر والأرز. وتستمد هذه المنطقة شهرتها من جمالها الطبيعى، وينابيعها الحارة التى يقصدها السائحون للاستفادة من خصائصها العلاجية. وفى فصل الشتاء تكسو الثلوج الجبال فيقصدها السائحون للاستمتاع بالتزحلق على الجليد.

ولكن أهم أسباب شهرتها فى الواقع هو ضريح يياسو طوكوجاوا. وبرغم أن أسرة طوكوجاوا كانت عقبة كؤود فى سبيل الإصلاح، لكن الشعب اليابانى يجل ذكراها باعتبارها جزءا من تاريخه الذى لايرى فيه إلا كل مجد وفخار.

والضريح فى حد ذاته تحفة معمارية تجسد روعة فن المعمار اليابانى

التقليدى، وقد دفن رماد طوكوجاوا تحت باجودا بوذية ترتفع خمس طوابق، وتحيطها البوابات التقليدية المزخرفة التى ترمز إلى قداسة المكان. وتحيط بالضريح غابة هائلة من أشجار الأرز الخضراء التى تبرز الضريح بلونه الأحمر، ومن المعروف أن امتزاج الخضرة بالحمرة يثير البهجة. ويقال إن كمية الأخشاب التى استخدمت فى بناء هذا الضريح تكفى لرصف الطريق الممتد بين مدينتى طوكيو وكيوتو. وقد استغرق بناؤه ١٢ عاما، ويقال إن الكهنة قد خشوا من أن يثير هذا البناء الفخم غيرة الآلهة، فصنعوا نماذج منه وعلقوها مقلوبة على أعمدة خشبية اتقاء لحسدها!

وفى يوم ١٨ مايو من كل عام يحتفل بعيد خاص فى المدينة، يسير فيه موكب كبير للاحتفال بذكرى طوكوجاوا وأرواح الشواجنة العظام، ويرتدى الناس الملابس التاريخية، وتقام مباريات للرماية يتبارى المتسابقون فيها فى إظهار مهارتهم وهم يمتطون الجياد، ثم تقدم القرابين للأرواح والآلهة، ويؤدى كهنة الشنتو رقصاتهم الدينية.

جبل فوجى

يقع جبل فوجى على بعد ٨٨ كيلومترًا جنوب غرب طوكيو، وهو أقدس بقعة فى أرض اليابان وإليه يحج عشرات الألوف من المتعبدين لكى يرقبوا شروق الشمس من قمته المرتفعة ولكى يتوجهوا بالصلاة إلى

أرباب الطبيعة فى معبده.

وفوجى (٣٧٧٦م) هو أعلى جبال اليابان، وهو فى الواقع بركان خامد، كانت ثوراته عام ١٧٠٧، وفى الشتاء تكسوه الثلوج، أما فى الصيف والربيع، فتمتلىء فوهته وتتحول إلى بحيرة عميقة.

وبالقرب منه بحيرة كبيرة تنعكس على مائها صورته، ولذا أسميت «ساكاسا فوجى» أو فوجى المزدوج، وكان من المحظور على النساء فى الماضى تسلقه، وهو لون من ألوان التفرقة التى زالت مع إصلاح الميجى.

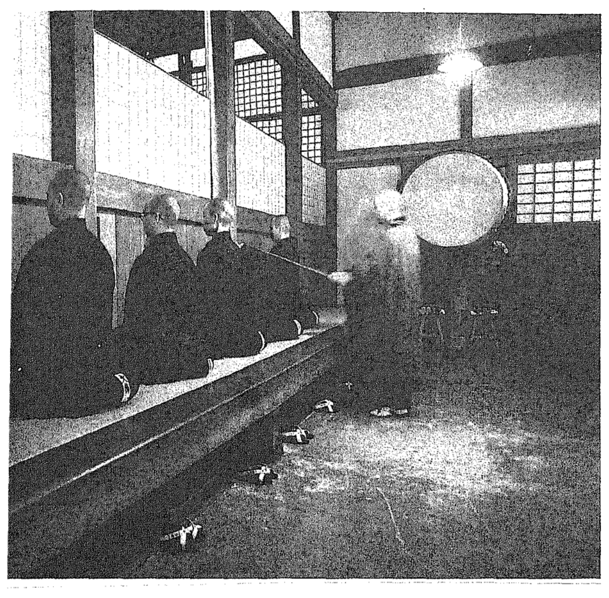
كيوتو

ظلت كيوتو عاصمة اليابان قبل طوكيو لأكثر من ألف عام (٧٩٤ - ١٨٦٨)، واسمها يعنى العاصمة الكبرى. ويبدو أنها من أقدم المناطق التى سكنها الإنسان فى اليابان، إذ توجد دلائل تشير إلى أنها كانت مسكونة فى عصر ما قبل التاريخ. ولكن ازدهارها لم يبدأ إلا فى القرن الثامن عندما اختيرت عاصمة لليابان. وقد أعيد تخطيطها وفقا للنظام الصينى وقسمت إلى أحياء تفصل بينها شوارع كبرى سميت باسم الأعداد الصينية من (١) إلى (٩)، ومازالت هذه السميات قائمة (اتشى جو - نى جو - سانجو ، وهلم جرا)، وكانت هذه الشوارع تجرى من الشرق إلى الغرب عمودية على نهر كامو الذى يخترق المدينة، ومن الشمال إلى الجنوب أقيمت خمس شوارع أخرى متوازية مع مجرى

النهر، مما أعطى للمدينة تقسيما هندسيا جيدا.. وأحيطت المدينة بعد ذلك بسور فتحت به ١٨ بوابة.

وتحيط المرتفعات بالمدينة من ثلاث جهات، أما الجهة الرابعة فهى مفتوحة، وقد تعرضت المدينة للكثير من النكبات حتى يقال إنها كانت تتعرض للدمار بفعل الحرائق مرة كل مائة عام تقريبا حتى القرن السادس عشر، ولذا فقد اندثر الكثير من منشآتها الأولى. وفى عصر أسرة طوكو جاوا هجرها الكثير من سكانها وتحولوا إلى طوكيو (أدو)، التى أخذ نجمها يعلو، واليوم لايزيد عدد سكانها على مليون ونصف مليون نسمة تقريبا.

وقد نجت هذه المدينة التاريخية من الدمار أثناء الحرب العالمية الثانية بفضل مساعى أساتذة التاريخ الأمريكيين الذين أفلحوا فى ثنى عزم القوات الأمريكية عن قصف المدينة. وبرغم التقدم الصناعى الذى حققته اليابان فى سنواتها الأخيرة، إلا أن المدينة مازالت مركزا مهما من مراكز الإنتاج الحرفي والصناعات اليدوية التى يقبل عليها السائحون ويولع بها اليابانيون. ومن أشهر هذه الصناعات نسج الأقمشة الحريرية وصباغتها يدويا، ومنها أيضا الفناجين الخشبية التى تطلى باللونين الأسود والأحمر وتزين بنقوش مذهبة بديعة، ومنها كذلك الدمى (العرائس). ولليابان شهرتها فى هذا الفن، إذ كانت التقاليد تقضى بأن تحتفل الفتيات بعيد خاص فى كل عام وتحضر كل فتاة



يتعلم صغار الكهنة فن التركيز والتأمل فى تلك المدرسة الملحقة بالمعبد، وعلى المتأمل أن يجلس القرفصاء وأن ينظر أمامه ويضع راحتيه على فخذيه وهو وضع بوذا الشهير ومن ورائهم الكاهن المعلم ينبههم إلى أخطائهم فى الجلسة

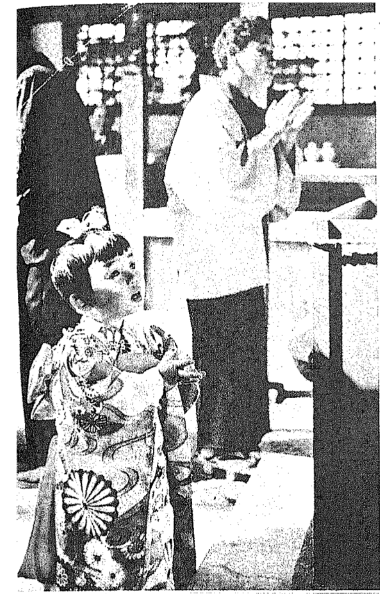
دمية بشكل رجل وأخرى بشكل امرأة وتلبسهما ملابس النبلاء، ثم تحضر دمى أصغر وتلبسها ملابس الأتباع حتى يمثلوا صورة نبيل وزوجته واتباعهما، وترتب هذه العرائس فى وضع خاص، وتمضى

الفتيات الليل فى الغناء أمامها، ثم تحفظ هذه الدمى فى موضع خاص، ويرى الوالدان فى الاحتفال بهذا العيد فألا طيبا بزواج ابنتهما. أما الصبية فكانوا يحتفلون بعيد خاص يناسب التربية العسكرية التى كانت سائدة فى الماضى، فبدلا من الدمى التى تصور النبيل وزوجته كانوا يستخدمون عرائس تصور الجنود والدروع والسيوف.. إلخ.

ومن أهم مزارات المدينة القصر الإمبراطورى الذى تقضى التقاليد بأن يتوج فيه إمبراطور اليابان، ومن المؤسف أن القصر القديم قد تدمر فى منتصف القرن التاسع عشر، وقد أعيد بناؤه بصورته القديمة عام ١٨٥٥، وبالقرب منه توجد قلعة نيجوجو التى أقامها طوكوجاوا عام ١٦٠٣ لتكون مقرا له حينما يهبط العاصمة الإمبراطورية، وتوجد بالمدينة قلعة أخرى تعرف باسم نيجو جنيا، وقد زودت بالكثير من الممرات السرية للهرب عند التعرض للخطر. وبالمدينة الكثير من المعابد البوذية ومنها معبد توجى الذى يعود إلى عام ١٦٤٤، ويباهى ببرجه (باجودة) الذى يميز المعابد البوذية والذى يعد أعلى هذه الأبراج فى اليابان (٥٥م)، والباجودا هى برج متعدد الطبقات يرمز إلى بوذا، لأن بوذا عندما توفى أحرقت جثته كعادة الهنود، ووضع رماده فى إناء، ثم أقيم فوقه تل صناعى من الأجر والطين كعادة الهنود القدماء فى دفن ملوكهم، وعرف هذا التل باسم «ستوبا»، وعندما انتقلت البوذية إلى الصين، طور المعمارى الصينى هذا الشكل البدائى إلى برج بديع

متعدد الطبقات وكأنما هو يسمو بروح بوذا إلى السماء.

ومن المعابد المهمة أيضا معبد الربة كانون، إلهة الرحمة، ويضم المعبد ١٠٠١ (ألف وواحد) تمثال لها كل منها يصورها بوجه مختلف.



طفلة تتعبد مع أمها فى أحد المعابد الشنتوية، لاحظ الزى التقليدى البديع الذى يجعل الطفلة تبدو كما لو كانت دمية

أوساكا

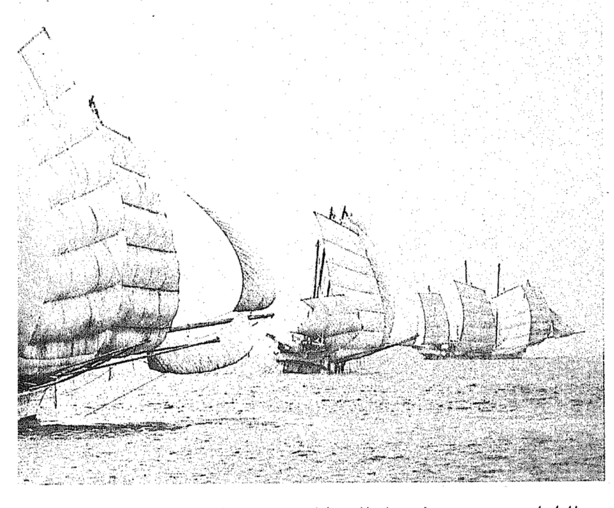
تقع مدينة أوساكا فى القسم الجنوبى من جزيرة هنشو، وقد استمدت شهرتها فى بادىء الأمر من قلعتها الضخمة التى تعد من أكبر الحصون اليابانية (القرن السادس عشر) وقد اجتذبت إليها التجار والصناع، فأصبحت من أهم المراكز التجارية والصناعية فى اليابان، وبلغ من ثرائها وقوة نفوذ تجارها أن ساد المثل «حينما يغضب تجار أوساكا يرتعش النبلاء»، برغم أن

التجارة – قبل عصر الميجي اشن– كانت من المهن الدنيا، وهو أمر لايثير العجب، فاحتقار النشاط التجارى والصناعى والمفاخرة بالحسب والنسب سمة أساسية من سمات المجتمع الإقطاعى.

وقد تعرضت المدينة مثل غيرها من مدن اليابان الكبرى إلى الدمار مرتين (زلزال ١٩٢٣ والحرب العالمية)، ولكنها عادت من جديد لتدعم مكانتها فى عالم الصناعة والتجارة، وتتميز المدينة بكثرة قنواتها وجسورها حتى تسمى مدينة الجسور الثمانمائة، مثلما تدعى القاهرة مدينة الألف مئذنة.

وفى كل عام يقع احتفال كبير فى موسم الكرز يعرف بعيد بعث روح اليابان أو ولادة روح اليابان من جديد، فزهور الكرز بحياتها القصيرة وجمالها الذى يبهج العيون ترمز إلى حياة السموراى القصيرة النبيلة، فهم يضحون بحياتهم من أجل الواجب والشرف، أى من أجل أن تستمر روح اليابان حية.

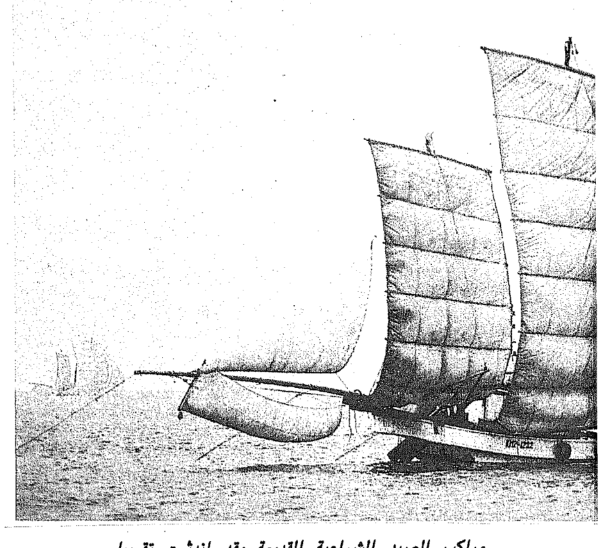
وبالقرب من أوساكا تقع بلدة ساكاى التى تضم جبانة ملكية قديمة تعود إلى القرن الرابع الميلادى، ومن أضخمها ضريح الإمبراطور نينتوكو الذى يعتبر أكبر ضريح فى العالم، إذ يغطى مساحة من الأرض تقدر بـ٢١ هكتار (الهكتار ١٠ آلاف متر مربع تقريبا)، وهو عبارة عن تل غريب الشكل، أحد طرفيه مربع والآخر نصف مستدير، ويشبه من أعلى فتحة القفل، وتحيطه بحيرة وسور كبير، ويقال إن هذا



الطراز مستمد من كوريا، التى كانت تحت حكم اليابان آنذاك ومنها استمدت الكثير من فنونها ذات الأصل الصينى.

نارا

كانت نارا عاصمة لليابان فى القرن الثامن الميلادى قبل كيوتو، وهى من أهم مراكز الديانة البوذية فى اليابان، وكان تصاعد نفوذ كهنتها



مراكب الصيد الشراعية القديمة وقد اندثرت تقريبا
من اليابان إلا فى المناطق المنعزلة

وقوة أديرتها سببا فى ابتعاد الأباطرة عنها وتفضيلهم لمدينة كيوتو. وبها تمثال عظيم لبوذا مصنوع من البرونز ويزن حوالى ٥٠٠ طن ويفوق تمثال كاماكورا فى حجمه، وبمعبده ناقوس ضخم لايقل وزنه عن ٤٠ طنا، وهو يشبه نواقيس الكنائس إلا أنه لايستخدم لدعوة الناس إلى

الصلاة، بل يستخدم لتنبيه الآلهة إلى وجود المتعبد فى المعبد حينما
يتقدم بنذوره، فإذا انتبهت الآلهة لذلك باركت له صنيعه، ولصوته دوى
رهيب يمكن أن يوقظ الموتى من سباتهم ويقض مضجع الأرباب! وهذا
الناقوس هو أحد حيل الكهان لاجتذاب التبرعات من السذج والبسطاء،
وهو دأب الكهنة فى كل زمان ومكان.. وتشتهر تلك المنطقة بغاباتها التى
تعيش فيها الغزلان فى أمن وسلام، إذ يحرم فيها الصيد إكراما لبوذا
الذى اشتهر بحبه للحيوان، ويقبل الزوار على إطعام الطير ويشترون
خبزا خاصا لإطعام الغزلان التى تقبل عليهم فى اطمئنان.



استراليا

كندا

اسبانيا

تركيا

الهند

الصين

اليابان

اندونيسيا

ايطاليا

البرازيل

بيرو

تونس

عمان

بلجيكا

جنوب افريقيا

